

العنوان:	ابن حزم اديبا ناثرا
المؤلف الرئيسي:	المهري، محمد بن مسلم دبلان عامر جيد
مؤلفين آخرين:	شنوان، يونس(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2001
موقع:	اربد
الصفحات:	1 - 191
رقم MD:	566238
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة اليرموك
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ، إمام الظاهرية، التراجم، الشعر العربي، نقد الشعر
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/566238">http://search.mandumah.com/Record/566238</a>

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

المهري، محمد بن مسلم دبلان عامر جيد، و شنوان، يونس. (2001). ابن حزم اديبا ناثرا  
(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة اليرموك، اربد. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/566238>

إسلوب MLA

المهري، محمد بن مسلم دبلان عامر جيد، و يونس شنوان. "ابن حزم اديبا ناثرا" رسالة  
ماجستير. جامعة اليرموك، اربد، 2001. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/566238>

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الفصل الأول:

### المبحث الأول:

### اسمه وسيرته:

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي، مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب - رضي الله عنه - ولد بقرطبة من بلاد الأندلس بالجانب الشرقي في ربض منية المغيرة<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر ترجمته في:

١ - الحميدي محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق محمد بن تاريت الطنجي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د-ت) (٢٩٠-٢٩٣).

٢ - صاعد. صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي، طبقات الأمم، تحقيق حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ م، (١٨١-١٨٤).

٣ - ابن بشكوال. خلف بن عبد الملك، الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م، (٤١٥-٤١٧).

٤ - ابن بسام، علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في ناسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٩٧ م، (١٦٧-١٧٠).

٥ - الضي. أحمد بن يحيى بن عميرة بغية الملتبس في تاريخ الأندلس، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧، (٤١٥-٤١٨).

٦ - الخطيب. لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد بن عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د-ت) (١١١/٤-١١٦).

٧ - المقرئ. أحمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م - (٧٧/١-٨٤).

يقول صاعد: "وكتب إليّ بخط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس من الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان وهو اليوم السابع من يونيو سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (١) بطالع العقرب (٢).

وكان جدّه خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس (٣)، وقد استوطن قرية (منت ليشم) في إقليم الزاوية من عمل أونبة من كورة (البلة) (٤) على نصف فرسخ من مصب الأوديل غربي الأندلس على البحر ومن ثم سكن آباؤه قرطبة.

وأسرته كما قال ابن خاقان: "بنو حزم فتية علم وأدب وثنية ومجد وحسب" (٥) كان أبوه أحمد بن سعيد من وزراء الحاجب المنصور بن أبي عامر ثم لابنه المظفر من بعده. لذا نشأ ابن حزم نشأة المترفين المنعمين تحيط به العناية من كل صوب، ولقد ترك لنا رحمه الله معلومات قيمة عن حياته ومدى النعيم الذي كان ينقلب فيه، في كتابه "طوق الحمامة" حيث يقول:

"ثم انتقل أبي رحمه الله من دورنا المحدثّة بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغني" (٦)

هذه هي القصور التي درج فيها ابن حزم وعائلته، إلا أن الزمن أدار ظهره لهذه الأسرة العريقة، فامتحن بالأسجن والتشريد، جراء الفتنة التي أطاحت بالدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ والأحداث التي جرت بعدها، ففي سنة (٤٠١هـ) حاصر البربر قرطبة، حتى انتشر فيها الطاعون الذي كان ضحيته أبو بكر ابن حزم أخو

(١) طبقات الأمم (١٨٤).

(٢) الصلة (٤١٧).

(٣) الذهبي. محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومباحيه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى،

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م (١٨/١٨٥).

(٤) الحموي. ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (١٧٢).

(٥) ابن خاقان. الفتح بن محمد بن عبيد الله، مطمح الأنفس ومسرح الأنس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، ط الأولى،

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (٢٠٢).

(٦) رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط الثانية، ١٩٨٧م (١/٢٥١) "من

الطوق".

الإمام ابن حزم، وبعدها بعام مات الوزير الوالد، ولندع ابن حزم يروي تلك الأحداث قائلاً:

" ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وباعثاء أرباب دولته، وامتحننا بالاعتقال والتغريب والإغرام الفادح والاستتار، وأرزمت الفتنة وألقت باعها، وعمت الناس وخصتنا إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله ونحن في هذه الأحوال، بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنتين وأربعمائة" (١).

× إلا أن الأمر لم يقف عند الاعتقال، والإغرام، بل جاوزه إلى الجلاء عن قرطبة "وأجلينا عن منازلنا وتغلب جند البربر فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة ٤٠٤ هـ" (٢).

فتوجه إلى المرية وكان أميرها خيران العامري، ولم يلبث أن اتهم هو وصاحبه محمد بن إسحاق "أنهما يسعيان في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلهما عند نفسه أشهراً ثم أخرجهما على جهة التغريب فصارا إلى حصن القصر، ولقيهما صاحبه أبو القاسم عبد الله بن هذيل التجيبي، المعروف بابن المقل، فأقاما عنده شهوراً... ثم ركبا البحر قاصدين بلنسية عند ظهور المرتضى عبد الرحمن بن محمد وسكناه بها" (٣).

ومنها انطلقت جيوش المرتضى ومعها ابن حزم ماضية في سبيلها إلى قرطبة، حتى مرت بغرناطة، فطلب الخليفة من أميرها الدخول في طاعته، وكان أميرها شيخ البربر زاوي بن زيري فأبى ذلك "فكانت بينه وبين القوم محاورات ومخاطبات، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً أياماً، ثم إن المرتضى خذله أنصاره من هؤلاء الأمراء وكانوا قد بدا لهم من أمره، فانهزموا عنه،... وقتل المرتضى" (٤) وأسر

(١) رسائل ابن حزم (٢٥٢/١).

(٢) نفسه (٢٥٢-٢٥١/١).

(٣) رسائل ابن حزم (٢٦١-٢٦٢).

(٤) الخطيب. لسان الدين، أعمال الأعلام، تحقيق: إ. ليفي برونفيل، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦ م (١٣٠-١٣١).

ابن حزم من ضمن الأسرى، ألا أنه أفلت من الأسر<sup>(١)</sup> وتوجه إلى قرطبة فدخلها في شوال ٤٠٩ هـ<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ٤١٤ هـ بويع المستظهر بالخلافة وأصبح ابن حزم وزيره المقرب ومن رجاله المعدودين، إلا أن الأمر لم يطل أكثر من شهر ونصف قام فيه المستكفي مع طائفة من أراذل العوام فقتل عبد الرحمن بن هشام المستظهر<sup>(٣)</sup> ونتيجة لهذا الانقلاب فقد تعرض أصحاب المستظهر أي وزرائه وأعوانه للسجن والاعتقال، فسجن ابن حزم وابن عمه عبد الوهاب، ويحكي ابن حزم ذلك قائلاً: إني كنت معتقلاً في يد الملقب بالمستكفي وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد ابن الناصر في مطبق... وكان ذنبنا عنده صحبتنا للمستظهر رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

ولسنا نعلم على التحقيق ماذا صنع ابن حزم بعد خروجه من السجن، ولكننا نرجح أنه اتجه نحو الشرق لنجده في مدينة "شاطبة" إحدى مدن إمارة "بلنسية" وفي هذه المدينة وضع كتابه المشهور "طوق الحمامة"، ويرى الحاجري أن الكتاب وضع بين عامي ٤١٧-٤١٨ هـ<sup>(٥)</sup>.

توجه بعدها إلى البوننت حيث الرئيس محمد بن عبد الله بن قاسم وألف له رسالته المعروفة " في فضل الأندلس وذكر رجالها".

ثم أبحر ابن حزم إلى جزيرة ميورقة، حيث استطاع بفضل احتمائه بواليتها أي (أحمد بن رشيق)\* أن يكتسب انصاراً له بهذه الجزيرة وذلك بين عامي ٤٣٠-٤٤٠ هـ، ولقد تناقش في حضرة ابن رشيق المتوفى عام ٤٤٠ هـ مع الفقيه المشهور أبي الوليد سليمان الباجي<sup>(٦)</sup> اضطر بعدها ابن حزم إلى الرحيل إلى

(١) ابن حزم. علي بن أحمد، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط ١، ١٩٨١ م (٢٢).

(٢) رسائل ابن حزم (٢٥٢/١) من الطوق.

(٣) جذوة المقتبس (٢٥).

(٤) رسائل ابن حزم (٣٤٦/٤) من التقريب.

(٥) الحاجري. محمد طه، ابن حزم صورة أندلسية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢ م، (١٥٤)، وهذا التاريخ أيده كل من أي زهرة

والدكتور إحسان عباس.

\* أحمد بن رشيق الكاتب أبو العباس، قدمه الأمير مجاهد العامري على كل من في دولته، كان عباً للعلم والعلماء، (ت/٤٤٠) الجذوة،

(١١٥) بتصرف.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول مادة "ابن حزم" ص (١٤٢).

"أشبيلية" حيث وجد المعتضد بن عباد، الذي يحيط نفسه بفقهاء المالكية لإضفاء الشرعية على ملكه، فلم يطل الإقامة عنده حتى توجه إلى قريته "لبلة" التي يقول عنها ياقوت: "ملكه، وملك سلفه من قبله"<sup>(١)</sup> يبيث علمه في من ينتابه بباديته تلك من عامة المقتبسين منه، من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة وهو على تلك الحالة حتى توفاه الله في سلخ من شعبان سنة ٤٥٦هـ<sup>(٢)</sup>.

### شيوخه وتلاميذه:-

تلقى ابن حزم العلم عن الكثير من العلماء وكان يخالط كثيرين من ذوي الرأي والإحاطة من علماء عصره.. ونرى أنه ابتدأ تلقى الحديث مبكراً في سنه<sup>(٣)</sup> حيث بدأ ابن حزم يسمع عن شيوخه سنة ٣٩٩هـ ومن هؤلاء:

١- ابن الجصور. وهو أحمد بن محمد بن أحمد الأموي ولاء القرطبي المحدث المتوفى سنة ٤٠١هـ في طاعون قرطبة وقد كان راوية للحديث وعارفاً بأسماء الرجال، وقد قرأ عليه ابن حزم كتاب التاريخ لمحمد بن جرير الطبري<sup>(٤)</sup>، كما روى عنه موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى<sup>(٥)</sup>. ومدونة سحنون<sup>(٦)</sup> ومسند أبي بكر بن أبي شيبة<sup>(٧)</sup>، وفقه أبي عبيد القاسم ابن سلام<sup>(٨)</sup> ومسند بن حميد.

٢- أبو القاسم المصري. عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد خالد الأزدي العتكي نسابة أديب وفد على الأندلس سنة ٣٤٩هـ ثم غادرها بعيد ٤٠٠هـ<sup>(٩)</sup>.

(١) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، (٢٤٠/١٢).

(٢) الذخيرة، (١٦٩/١/١).

(٣) أبو زهرة، محمد، ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ١٩٩٧، (٨٧).

(٤) رسائل ابن حزم "الطوق" (١٧٤/١) - الجزء ٤ ص (٩٩).

(٥) ابن حزم. علي بن أحمد، المحلى، نشر أحمد محمد شاكر، بيروت، (د.ت) (٦٩-٦٨/١).

(٦) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، نشر أحمد شاكر، القاهرة، (د.ت) (٥٦٧/٤).

(٧) المحلى. (٦٥٤/١).

(٨) المحلى (١٥٩/١) و (٢٢١/٥).

(٩) رسائل ابن حزم (٢٧٣/١).

٣- القاضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي الذي قتل. كان حافظاً متقناً عالماً ذا حظ من الأدب وافر توفي في حدود الأربع مائة مقتولاً ومظلوماً<sup>(١)</sup>.

٤- أبو القاسم بن الخراز، عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني الوهراني كان محدثاً راوية توفي بالمرية سنة ٤١١هـ أخذ عنه ابن حزم الجامع الصحيح للإمام البخاري سنة ٤٠١هـ بأحد المساجد قرب قرطبة<sup>(٢)</sup>.

٥- ابن الجعفري. أبو سعيد خلف مولى الحاجب جعفر القرطبي العالم المقرئ المتوفى سنة ٤٢٥ هـ كان شيخه في الأدب والحديث قرأ عليه معلقة طرفة ابن العبد مشروحة<sup>(٣)</sup>.

"هذا هو القسم الأول من شيوخه الذين أخذ عنهم في مرحلة التحصيل بقرطبة والملاحظ أن ثقافة ابن حزم الفقهية والحديثية والكلامية، بدأت منذ سن الخامسة عشرة إلى سن العشرين أي قبل أن يغادر قرطبة وفي هذا تكذيب للرواية التي يأتي بها العديد من الكتاب والمؤلفين، والتي مفادها أنه لم يتجه إلى التحصيل إلا في سن السادسة والعشرين"<sup>(٤)</sup>.

بجانب هؤلاء الشيوخ الخمسة ثمة شيوخ آخرون هم:

٦- ابن وجه الجنة: يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود القرطبي المحدث (ت ٤٠٢هـ) روى عنه مسند الإمام أحمد<sup>(٥)</sup>.

٧- أبو محمد بن بنوش: عبد الله بن محمد بن ربيع التميمي القرطبي المحدث المتوفى ٤١٥هـ<sup>(٦)</sup>.

<sup>(١)</sup> الجذوة (٢٣٨).

<sup>(٢)</sup> الجذوة. (٢٥٦).

<sup>(٣)</sup> رسائل ابن حزم (١٩٤/١).

<sup>(٤)</sup> يفوت، سالم، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط الأولى،

١٩٨٦، ص ٤٧.

<sup>(٥)</sup> الجذوة. (٣٥٤) - المحلى ١/ص (٣٩ و ٢٤٢)، سير أعلام النبلاء (١٨٥/١٨).

<sup>(٦)</sup> الجذوة، ٢٤٣، وسير أعلام النبلاء (١٨٥/١٨).



- ٨- الطلمنكي: أحمد بن محمد بن عبد الله القرطبي المحدث (ت، ٤٢٠هـ) روى عنه مسند البزار ومصنف سعيد بن منصور<sup>(١)</sup>.
- ٩- ابن نبات: محمد بن سعيد بن محمد الأموي القرطبي، المحدث (ت، ٤٢٩هـ) روى عنه مصنفات أحمد بن حنبل والمجتبى للقاسم بن أصبغ وفقه الزهري<sup>(٢)</sup>.
- ١٠- ابن الصقار: يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث القرطبي، كان قاضياً محدثاً رواية (ت، ٤٢٩هـ) روى عنه سنن النسائي ومسند أبي بكر بن أبي شيبة ومعاني الآثار للطحاوي، وكتاب غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي<sup>(٣)</sup>.
- ١١- ابن أصبغ أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ القرطبي، المحدث (ت، ٤٣٠هـ)<sup>(٤)</sup>.
- ١٢- ثابت بن محمد الجرجاني العدوي المكنى بأبي الفتوح قرأ عليه حدود المنطق<sup>(٥)</sup>.
- ١٣- ابن نامي الراهوني عبد الله بن يوسف (ت، ٤٣٥هـ)<sup>(٦)</sup>.
- ١٤- البزار، محمد بن عبد الله بن هاني اللخمي القرطبي المحدث المؤرخ الفقيه (ت، ٤١٥هـ)<sup>(٧)</sup>.
- ١٥- الكاتب جعفر بن يوسف القرطبي كان أديباً بارعاً في صناعة الكتابة (ت، ٤٣٥هـ)<sup>(٨)</sup>.
- ١٦- ابن جهور عبد الله بن محمد بن عبد الملك القرطبي الأديب<sup>(٩)</sup>.
- ١٧- ابن الغليظ محمد بن عبد الأعلى بن القاسم القرطبي<sup>(١٠)</sup>.

(١) الجذوة ١٠٦ والمجلد (١/٦٨ و ٧٩)، سير أعلام النبلاء، (١٨٥/١٨).

(٢) الجذوة ٥٦ والصلة ترجمة - ١٥٢١ - والمجلد (١/١٠٨ و ١٧٣).

(٣) الجذوة ٣٦٢ والصلة ترجمة - (٩٨) وسير أعلام النبلاء (١٨٥/١٨).

(٤) الجذوة ١٣٣ والصلة ترجمة - (١٥١٢) وسير أعلام النبلاء (١٨٥/١٨).

(٥) الجذوة ١٧٣ والرسائل (٣٩/٤).

(٦) الصلة - ترجمة - ١٠٩٤.

(٧) الصلة ترجمة - (٢٩٤) الجذوة، ٦١.

(٨) الجذوة (ص ١٧٥).

(٩) الجذوة (ص ٢٣٩). (١٠) الصلة ترجمة (١١٨٠).

"ويعتقد الأستاذ "المنوني" أنه من المرجح أن يكون ابن حزم قد أخذ المذهب الشافعي، أثناء فترة التحصيل الأولى على يد الاستجي، وهو سلمة بن سعيد الأنصاري<sup>(١)</sup> كما يعتقد أنه أخذ الظاهرية على يد أبي الخيار مسعود<sup>(٢)</sup> بن سليمان بن ملفت المتوفى ٤٢٦هـ<sup>(٣)</sup>.

أما تلاميذه أو الذين أخذوا عنه، لم تسعنا المدونات القديمة إلا بالقليل عنهم واقتصرت على من أكثروا الرواية عنه مثل تلميذه أبي عبد الله الحميدي وابنه الفضل أبي رافع والإمام الوزير أبي محمد بن العربي وعلي بن سعيد العبدي وأبي بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي<sup>(٤)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> الجذوة ص (٢١٩).

<sup>(٢)</sup> الجذوة ص (٢٣٠).

<sup>(٣)</sup> ابن حزم والفكر الفلسفي، ص (٥١-٥٢).

<sup>(٤)</sup> ابن حزم، علي بن أحمد، المفاضلة بين الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط ٢، ١٣٨٩-١٩٦٩، ص ٣٦-٣٧ مع تصرف.

## كتبه:-

كان ابن حزم واسع الاطلاع جَماعاً للكتب، كثير القراءة والسماع، لا يترك شيئاً يفوته دون تقبيد، وقد عكف بعد أن نبذ الوزارة أو نبذته، على القراءة في كل علم وفقه<sup>(١)</sup> يقول الحميدي: "كان متفنناً في علوم جمّة.. وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم"<sup>(٢)</sup>.

ويقول صاعد بن أحمد الجياني: "وقد أخبرني ابنه الفضل المكنى أبا رافع أن مبلغ تآليفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ- والنسب وكتب الأدب والرد على المعارضين نحو من أربع مائة مجلد يشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة"<sup>(٣)</sup> يعلق بعدها "وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري"<sup>(٤)</sup>.

أما ابن حيان معاصر ابن حزم فيذكر أنه كمل من مؤلفات ابن حزم في فنون العلم "وَقَرَّ بعير لم يَعُدْ أكثرها عتْبة بابه لتزهد الفقهاء طلاب العلم فيها، حتى أحرق بعضها بإشبيلية ومُزقت علانية"<sup>(٥)</sup>.

وعلى كثرة ما ألف ابن حزم فإنني سأكتفي بذكر الكتب الموجودة، أي التي طبعت أو قيد الطبع أو أنها محفوظة في مكتبات العالم، على أن بعض الباحثين وسع دائرة البحث حتى شمل الكتب المفقودة أمثال د. عبد الحليم عويس في كتابه القيم "ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري"<sup>(٦)</sup> لذا سأعتمد (ترتيبه) في الكتب الموجودة لما فيه من شمول واختصار في ذكر الكتب المطبوعة دون التعريف بها كما يفعل بعض الباحثين.

(١) خليفة. عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه، دار العربية، بيروت، (د-ت)، ١٢٨.

(٢) جذوة المقتبس ص ٢٩٠.

(٣) طبقات الأمم ص ١٨٣.

(٤) نفسه ص ١٨٣.

(٥) الذخيرة (١٦٩/١) ..

(٦) عويس، عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية،

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، (١١٠).

- ١- رسالة أصحابه الذين أخرج لهم بقي بن مخلد<sup>(١)</sup> (ط).
- ٢- رسالة القراءات المشهورة في الأمصار، الآتية مجيء التواتر (ط).
- ٣- كتاب المحلى.
- ٤- المعلى (في شرح المحلى)
- ٥- مسألة الأصول (ط).
- ٦- رسالة في الإمامة (في الصلاة) مخطوطة شهيد على ٢٧٠٤.
- ٧- كتاب حجة الوداع (ط)
- ٨- كتاب مناسك الحج أو كتاب المناسك.
- ٩- مراتب الاجماع (ط).
- ١٠- رسالة الغناء الملهي أمباح هو أم محظور؟ (ط)
- ١١- رسالة في طهارة الكلب والرد على من قال بنجاسته (ط).
- ١٢- كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس، الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس، بعضه بمكتبة الشيخ طاهر بن عاشور، والجزء الثاني منه نسخة طرف أبي عبد الرحمن بن عقيل، ونسخة طرف الدكتور عبد الله الزايد.
- ١٣- كتاب الإحكام- في أصول الأحكام (ط).
- ١٤- إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (ط)
- ١٥- رسالة في الرد على الهاتف من بعد (ط).
- ١٦- رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال تعنيف (ط).
- ١٧- النبذ الكافية، في أصول أحكام الدين (ط).
- ١٨- ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (ط).
- ١٩- كتاب التقريب لحد المنطق، والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية (ط).
- ٢٠- كتاب الفصل، في الملل والأهواء والنحل (ط).
- ٢١- رسالة في المفاضلة بين الصحابة (ط).

<sup>(١)</sup> ابن حزم الأندلسي، جمعده في البحث التاريخي والحضاري، (١١٤)

- ٢٢- كتاب الأصول والفروع (مخطوط شهيد على ٢٧٠٤ وأكثر موضوعاتها مضمنة في الفصل).
- ٢٣- الرد على ابن النغيلة اليهودي (ط).
- ٢٤- قصيدة في الرد على نقفور ملك الروم (ط)
- ٢٥- رسالة البيان، عن حقيقة الإيمان (ط).
- ٢٦- كتاب الدرة في تحقيق الكلام بما يلزم الإنسان اعتقاده في الملة والنحلة باختصار وبيان (ط)
- ٢٧- رسالة في النفس خ.
- ٢٨- فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بنفسها (ط).
- ٢٩- كتاب ابن حزم في الجدل.
- ٣٠- رسالة في ألم الموت وإبطاله (ط).
- ٣١- رسالة في حكم من قال: إن أهل الشقاء معذبون إلى يوم الدين (ط).
- ٣٢- مراتب العلوم، وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض (ط).
- ٣٣- رسالة التوقف على شارع النجاة باختصار الطريق (ط).
- ٣٤- رسالة في مداواة النفوس وتهذيبها (ط).
- ٣٥- رسالة في التلخيص لوجوه التلخيص (ط).
- ٣٦- جوامع السيرة (ط).
- ٣٧- رسالة في تسمية من نقل عنه الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا (ط).
- ٣٨- جمل من فتوح الإسلام (ط).
- ٣٩- أسماء الخلفاء والولاة، وذكر مددهم (ط).
- ٤٠- رسالة في أمهات الخلفاء (ط).
- ٤١- جمهرة أنساب العرب (ط).
- ٤٢- رسالة في فضل الاندلس وذكر رجالها (ط).
- ٤٣- نقط العروس في تواريخ الخلفاء (ط).
- ٤٤- طوق الحمامة (ط).

- ٤٥- رسالة في الرد على الكندي الفيلسوف (ط).
- ٤٦- ظل القمامة وطوق الحمامة وفضل القرابة والصحابة (ويشك في نسبته اليه (ط).
- ٤٧- الرسالة الباهرة في الرد على الأهواء الفاسدة (ط).
- ٤٨- المسألة اليقينية المستخرجة من الآيات القرآنية خ.
- ٤٩- منظومة في قواعد أصول فقه الظاهرية (ط).
- ٥٠- نبذة في البيوع (بمخطوطة جستر جيتي) خ<sup>(١)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> ابن حرم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ١١٦-١١٧.

## علمه:

ابن حزم من أكثر علماء الإسلام جمعاً لضروب العلم المختلفة، وتدرجاً في تحصيل العلم، فقد جرت العادة على أن أبناء الطبقة الموسرة يأخذون علومهم الأولى على أيدي الجواري أو المؤدبين في القصور، وهذا ما جرى لابن حزم الذي يخبرنا عن الجواري فيقول:

"وهنّ علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط"<sup>(١)</sup> ثم يأتي الطور الثاني وهو حضور المجالس العلمية التي كانت تعقد في المساجد وفي بلاط الأمراء فكان أول حضوره في يوم عيد الفطر سنة ٣٩٦هـ وعمره آنذاك لم يتجاوز الثانية عشرة، في بلاط الأمير المظفر بن المنصور بن أبي عامر، عندما كان ينشده صاعد قصيدته المشهورة التي مطلعها:-

إليك حدوت ناجية الركاب      محملة أمانني كالهضاب<sup>(٢)</sup>

على أن ابن حزم لم يقف عند حد معين من العلوم، بل انصرف إلى دراسة العلوم الشائعة في عصره، من المنقول والمعقول حتى بلغ درجة يقول فيها الدكتور إحسان عباس: "من العسير أن يصور الدارس مدى ثقافة ابن حزم لتشعب هذه الثقافة وشمولها لجميع أنواع المعرفة في عصره"<sup>(٣)</sup> فهو الفقيه، والمحدث، والمؤرخ، والنسابة، وعالم الأديان في الملل والنحل، والطب والمنطق، واللغة وهو بحق كما قال صاعد بن أحمد الأندلسي:

"كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار"<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم (١/١٦٦).

<sup>(٢)</sup> الجذوة (٢٢٤).

<sup>(٣)</sup> إحسان عباس، "أدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، درا الثقافة، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٩٩٦، (٣١٤).

<sup>(٤)</sup> الصلة، (٤١٦).

يقول ابن حيان "كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة"<sup>(١)</sup>.

والمطلع على رسالتيه "مراتب العلوم"، "وفضل الأندلس وذكر رجالها" يخلص إلى أنهما تصوران إلى أي مدى بلغت ثقافة الرجل من جانب، ومنهجيته العلمية في تناول العلوم ودراستها من جانب آخر، لذا يقول الإمام الذهبي: "ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره"<sup>(٢)</sup>.

وفي رأيي أن هذه الأدوات الاجتهادية أدت به إلى الجنوح عن المذاهب الأربعة الفقهية، والأخذ بمذهب الظاهر، الذي ينفي القياس والتعليل والتقليد، وأهمها في نظري العنصر الأخير وهو ترك التقليد، الذي يجد فيه ابن حزم المكانة والمقام اللائقين بعلمه الواسع.

إن الظاهرية أو المذهب الظاهري متنفس الإمام ابن حزم من حصار التقليد والتبعية لآراء الأشخاص الذين قد يجانبهم الصواب في بعض أقوالهم واجتهاداتهم إذ لا عصمة إلا لنبي أو رسول.

---

<sup>(١)</sup> الذخيرة، (١٦٧/١/١).

<sup>(٢)</sup> 'لذهبي - محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، (د-ت)، (١١٥٣/٣).



## المذهب الظاهري وأسباب ثورته على التقاليد المالكية.

قبل أن نقر بأن الحزمية أو الظاهرية في الأندلس ثورة على رسوخ التقليد عند المالكية، مع الرضوخ للقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، لابد من الرجوع إلى الظروف والإرهاصات التي دفعت بالظاهرية إلى الثورة على المذهب المالكي رغم رسوخه في الأندلس، ويمكن معرفة ذلك من خلال أمرين هما:-

أولهما:- نبذة عن الظاهرية أي ظاهرية داود الأصفهاني (٢٠٢-٢٧٠هـ)، ثم معرفة قضية التبعية التي نفاها بعض المحدثين عن ابن حزم أي أنه لم يكن امتداداً للظاهرية المشرقية.

كان داود في بداية أمره شافعيّاً بل من متعصبة الشافعية إلى أن مال به الرأي إلى القول بالظاهر، وهدم مصدراً من المصادر التي اعتمدها الشافعي وهو القياس "ولما سئل لماذا يبطل القياس وقد أخذ به الشافعي" فأجاب أخذت أدلة الشافعي في إبطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس".<sup>(١)</sup>

على أن بعض الدارسين يرون أن داود مجرد حركة تصحيحية في المذهب الشافعي؛ لأنه لم ينكر القياس الجلي، وإنما أنكر القياس الخفي، وبعبارة أخرى فإن داود أخذ بالجانب النصي من المذهب الشافعي، من هنا يذهب الغزالي في "المستصفى" إلى التأكيد بأن داود لم ينكر القياس الجلي "فلا يظن بالظاهر في المنكر للقياس إنكار المعلوم المقطوع به من هذه الإلحاقات، لكن لعله ينكر المظنون به، ولقد نقل عن داود أنه قال: لا يجوز أن يحرم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فيحرم محرم غير ما حرم لأنه يشهده إلا أن يوقفنا على علة من أجلها وقع التحريم"<sup>(٢)</sup> لذا يقول يفوت: فظاهرية داود تصحيح للشافعية وجر لها نحو الاكتمال أي أنها لا تخرج عن مجالها المعرفي"<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> ابن خلكان - وفیات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، (٢٠٥٠/٢ - ٢٥٧).

<sup>(٢)</sup> الغزالي محمد، المستصفى، تحقيق عمر سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٩٩٧، (٢٩٦/٢)، والمحوي، النعالي،

الفكر السامي في تاريخ الفقه، اعتنى به أيمن صالح، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٥، (٣١/٢).

<sup>(٣)</sup> ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس. (٩٠).

ومع مراجعة هذا الاجتهاد اليفوتي، فإن العقل والواقع يرفضانه، إذ كيف يجعل مذهباً كاملاً بأدواته وأصوله وفروعه تصحيحاً لمذهب آخر يخالفه في بعض الأصول وكثير من الفروع. إن جعل الظاهرية أو الداودية وجهاً آخر للشافعية لا يشفع ليفوت أن يخرج ابن حزم من الظاهرية وأن يجعل له خصوصية منقطعة الصلة عن إمام الظاهرية داود بن علي؛ لأن الظاهرية كما أسلفنا مذهب له أصوله وفروعه، والمطلع على نتاج ابن حزم الفكري من فقه وغيره يجد تلك الصبغة الظاهرية فيه، زد على ذلك أنه هو من نقح المذهب ونهجه وجادل عنه ووضع الكتب في بسطه<sup>(١)</sup>.

على أننا لا ننكر أن ظاهرية ابن حزم هي الأوسع الأشمل، أو كما يحلو للجابري أن يصفها بأنها عبارة عن "مشروع عام فقهي وعقدي ولغوي وفلسفي تؤسسه نزعة نقدية صارمة واستشرافات عقلانية صميمة"<sup>(٢)</sup>، هذا التوسع وهذا الشمول ناتجان عن تجديد للمذهب كما حدث للمذاهب الأخرى، حيث إن المتأخرين من أرباب المذاهب حملوا على عاتقهم التهذيب والتجديد والتوسع ضمن دائرة الشرع، وهذا شأن ابن حزم الذي أكمل بنیان الظاهرية كمذهب أو مشروع إن صح التعبير، وهذه خصوصية تتعلق بالتجديد لا خصوصية الانفراد.

والملاحظ هنا أن المذاهب الفقهية تحمل اسم إمام المذهب نفسه كالشافعية نسبة إلى الشافعي وهلم جرا إلا المذهب الظاهري؛ فإنه أخذ من دلالة اللفظ أو ظاهر النص، وبالتالي لا يحل لنا نسبة هذا المذهب إلى شخص بعينه، لا إلى داود ابن علي، ولا إلى ابن حزم.

**ثانيهما:-** نبذة عن تاريخ الفكر أو المذهب المالكي بالأندلس، وأسباب انتشاره، ثم سر تمسك الأندلسيين بالمذهب، خلافاً للمشرق الذي كان يعج بالمذاهب الفقهية والكلامية المختلفة.

(١) الذخيرة. (١/١٦٨).

(٢) الجابري، محمد عابد، المشروع الثقافي العربي الإسلامي بالأندلس قراءة في ظاهرية ابن حزم، دراسات إسلامية لنخبه المفكرين والباحثين، تحرير فهمي جدعان، منشورات جامعة اليرموك، ط ١، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، (٣٨).

كان الأندلسيون على مذهب الإمام الأوزاعي (٨٨-١٥٧هـ) قبل المالكية، والسبب في ذلك أن الأوزاعي من سكان الشام، وبه مركز الدولة الأموية الفاتحة، وعن طريق جند الشام الفاتح انتشر هذا المذهب في المغرب والأندلس، إلا أنه لم يلبث أن قضى عليه المذهب المالكي في المغرب والأندلس، ثم أخذ مكانه الشافعي في الشام، وبذلك لم يبق للأوزاعية أثر إلا ما وجد في بطون الكتب الفقهية، ويعزى السبب في عدم صموده أمام المالكية في الأندلس إلى "أنه لم يكن في طريق الحج كما ذكر المقدسي في أحسن التقاسيم"<sup>(١)</sup>.

### إذن كيف انتشر المذهب المالكي في الأندلس؟

جاء في ترتيب المدارك "وأما أهل الأندلس فكان رأيهم منذ فتحت على رأي الأوزاعي إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغازي بن قيس، فجاءوا بعلمه وأبأنوا للناس فضله واقتداء الأمة به، فعرف حقه، ودرس مذهبه، إلى أن أخذ أمير الأندلس إذاك هشام بن عبد الرحمن... الناس جميعاً بالتزام مذهب مالك"<sup>(٢)</sup>. فهذا القاضي عياض يرى أن أمراء بني أمية كان لهم الأثر البالغ في نشر المالكية في المغرب والأندلس، يضاف إلى هذا السبب ما ذكره العلامة ابن خلدون "إن البداوة، كانت غالبية أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصا عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع لغيره من المذاهب"<sup>(٣)</sup>.

إلا أن السبب الذي يراه يفوت من الأهمية بمكان إذا جمع إلى ما سبق من الأسباب، هو أن العداوة التي كانت بين الإمام مالك رحمه الله والدولة العباسية هي التي دفعت أمراء بني أمية للأخذ بالمذهب المالكي وجعله المذهب الرسمي، ومما

<sup>(١)</sup> الجبوري، عبدالله، فقه الإمام الأوزاعي - وزارة الأوقاف - بغداد - ١٩٧٧ - (١/٦٣-٦٤).

<sup>(٢)</sup> عياض - القاضي - ترتيب المدارك - تحقيق بكير عمود - بيروت (١٩٦٧). (١/٥٥٠).

<sup>(٣)</sup> فقه الإمام الأوزاعي. (١/٦٩).

زاد تلك الروابط عبارة الإمام مالك المشهورة في أمير الأندلس الأموي: "تسأل الله أن يزين حرمنا بمثل ملككم" والتي كان لها ذلك التجاوب عند أمراء بني أمية.

"إذن فتبني الأندلس والمغرب لمذهب مالك يجب النظر إليه أيضا بوصفه ينطوي على اختيار سياسي"<sup>(١)</sup> "إضافة إلى ذلك أن الأندلسيين كانوا يسعون دائما إلى الوحدة السياسية ولن يتحقق ذلك إلا من خلال الوحدة المذهبية."<sup>(٢)</sup>

ويرى بعض الباحثين أن سر تمسك المغاربة أو أهل الأندلس بالمذهب المالكي راجع إلى ظهور الدعوة الفاطمية في بر العدو ومن قبلهم الأغلبية بتونس ولاية الدولة العباسية، الأمر الذي جعل المالكية يرفضون كل دعوة خارجة عن أهل السنة، بل أنهم حاربوا المذاهب الأخرى من أهل السنة حتى أواخر القرن الرابع ومطلع الخامس، وبذلك أصبحت الأندلس ممثلة بفقهاء المالكية الصخرة التي تتحطم عليها كل المذاهب الأخرى كالمعتزلة والرافضة والخوارج مما حدا بالباحثين إلى الانقسام في تفسير هذا الجمود:

- فقسم يرى أن هذه مفخرة المالكية أنها تصدت لكل المذاهب الهدامة والتي ما من شأنها إلا الفتنة وشق الصف.

- وقسم يرى أن المالكية بلغت من الجمود واتباع آراء الشيوخ درجة التحجر والوقوف بالمذهب على المدونة والمستخرجة أو العتبية، وبذلك أحلوا الفروع محل الأصول فتركوا الحديث واعتمدوا القياس<sup>(٣)</sup>.

وفي المحاورة التي جرت بين الأصيلي والأبهري يتضح لنا مدى ثقافة المفتي عند المالكية بالأندلس.

"الأصيلي قال لي الأبهري أبو بكر بن صالح:

كيف صفة الفقيه عندكم بالأندلس؟

فقلت له: يقرأ المدونة\* وربما المستخرجة\* فإذا حفظ مسائلهما أفتى.

<sup>(١)</sup> دراسات إسلامية لنخبة من المفكرين والباحثين، (٣٦).

<sup>(٢)</sup> انظر ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، (٩٥).

<sup>(٣)</sup> دراسات إسلامية لنخبة من المفكرين والباحثين، (٣٦).

\* كتاب المدونة ألفه أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التوشحي الشهير بسحنون في مذهب المالكي.

\* كتاب العتبية منسوبة إلى محمد بن أحمد بن عبد العزيز العنزي وهي مسائل في مذهب الإمام مالك.

فقال لي: هذا ما هو؟

فقلت له: نعم.

فقال لي: أجمعت الأمة على أن من هذه صفته لا يحل له أن يفتي<sup>(١)</sup>.

يقول التركي: "بقيت الأندلس مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتلك المؤلفات المالكية المصنفة في المسائل والنوازل والفتاوى والأحكام والوثائق"<sup>(٢)</sup> حتى أنهم لا يخرجون عنها، وليس أدل على تحجرهم من تلك الرواية التي ذكرها ابن حزم:

"لقد شاهدت بعض أهل مساجد الجانب الشرقي أيام تغلب البربر عليها يستفتون شيوخ المالكية في تعجيل العتمة قبل وقتها خوف القتل، إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم في الظلام في طرق المسجد، فربما أوزوا إذاً شديداً، فما فسحوا لهم في ذلك، ولم يقيسوا ضرورة خوف الموت على ضرورة خوف بلل الثياب في الطين"<sup>(٣)</sup>.

والذي أميل إليه هو الرأي الثاني من أن شيوخ المذهب أوصلوا الفقه المالكي إلى درجة من الجمود، الأمر الذي جعله غير ملائم لحاجات المجتمع الجديد الآخذ بأسباب التحضر من جانب والاضطرابات السياسية من جانب آخر. من هنا تظهر الحاجة إلى المذاهب الأخرى، أو بالأصح إلى حركة تصحيحية تحرك هذا الجمود الذي سيطر على المذهب وتنبذ عقلية الفقهاء الذين كانوا يستشارون في كل شيء<sup>(٤)</sup>.

ثمة سبب آخر لا يقل أهمية في دفع "الظاهرية" إلى الظهور إلى حيز الوجود، وهو نوعية العلاقة بين الأمراء وفقهاء المالكية لا سيما بعد "وقعة الربض"<sup>(٥)</sup> التي أوقع فيها الحكم بن هشام الربضي (١٨٠-٢٠٦هـ) بالفقهاء بعد

(١) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٢٢/٢).

(٢) عبد المجيد - مناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم والباجي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

ط ١، ١٤٠٦-١٩٨٦م، (٥٧).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، (٣٣٣/١).

(٤) منصب المشاور وهو أعلى من منصب القاضي إذ يستشره الأمير في كل الأمور الدينية والدنيوية.

(٥) ابن الأبار عبد الله محمد بن عبد الله، الحلة السراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٦٣، (١/٤٤-٤٤٧).

أن ألبوا عليه العامة، إلا أنه أدرك مكانتهم وضرورة مهادنتهم انتهى الأمر بالمصالحة، وكان هذا النهج أي التقرب إلى الفقهاء أمراً ساري المفعول على الأمراء من بعده، ومع مرور الزمن عمل أمراء بني أمية على تقليص نفوذ فقهاء المالكية، وذلك بتشجيع المذاهب الأخرى والاستماع إلى مناظرتهم، بل وحمايتهم إن تطلب الأمر ذلك.

ونتيجة لما سبق ظهرت خلال القرن الرابع ومطلع الخامس مدرسة الحديث بالأندلس على يد بقي بن مخلد<sup>(١)</sup>، وابن وضاح<sup>(٢)</sup> والخشني<sup>(٣)</sup>، ومما نادت به هذه المدرسة هو الرجوع بالشرع إلى نبعه الأول وهو الكتاب والسنة "وأن يعود للاجتهاد دوره الأساسي في الشرع بعبارة أخرى يمكن أن نطلق على هذه المدرسة ثورة على التقليد الفقهي الذي حصر الاجتهاد في أقوال شيوخ المذهب"<sup>(٤)</sup>.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الظاهرية الحزمية كانت امتداداً لهذه الثورة العلمية التي شجعت الأندلسيين في الانفكاك من قيود المالكية وجمود بعضهم وتردي الآخر في وحل السياسية في عصر أمراء الطوائف الذين شجعوا التقليد الذي يضمن لهم البقاء ولو بصورة مهينة.

في ظل هذه الظروف المتردية، ظهرت المناداة بالاجتهاد والثورة على التقليد أكثر مما كان عليه في عصر الخلافة، فظهرت "الحزمية" أو الظاهرية الحزمية بمشروعها الظاهري "داعية إلى دلالة حرفية للنص مع الإقرار بحقائق العقل المتمثلة في أوائله ومبادئه الأساسية، التي تستند إليه المعرفة البرهانية العقلية التجريبية"<sup>(٥)</sup>.

---

• بقي بن مخلد القرطبي صاحب التفسير والمسند ولد (٢٠١-٢٧٦هـ) انظر نفح طيب (١/٥٨٠) بتصرف.  
• محمد بن وضاح مولى عبد الرحمن الداخل توفي رحل إلى المشرق مرتين كان عالماً بطرق الحديث بصيراً فيها (٢٠٠-٢٨٧هـ) أنظر الجذوة، ٨٧.

• محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني، (ت/٢٨٦هـ) انظر جذوة المقتبس (٦٨-٦٩).

<sup>(١)</sup> ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، (١٠٧).

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق. (١١١).

## الظاهرية وأثرها في تأليفه

على الرغم من اهتمام مؤسسي الظاهرية في توضيح المذهب وتبسيطه إلا أنه لا يؤثر عنهم تعريف اصطلاحى للظاهرية، وكذلك الحال عند ابن حزم الذي بين لنا خصائص الظاهرية ومعالم منهجه فيها لم يضع لنا تعريفاً محدداً لها، وليس في موسوعته الظاهرية "المحلى" ولا في كتبه الأخرى تعرض مباشر لمعنى الظاهرية<sup>(١)</sup>.

ولعل السبب في ذلك كما يرى بعض الباحثين راجع إلى مصطلح "الظاهر" الذي يبدو مفهوماً من دلالة اللفظ، وهو البعد عن الغموض والخفاء أو التأويل.

لكننا من خلال النصوص الحزمية نستطيع أن نكون معنى للظاهرية بشكل أو بآخر، حيث يقول: "اعلموا أن دين الله ظاهر لا باطن فيه، جهر لا سر تحته، كله برهان لا مسامحة فيه، واتهموا كل من يدعو إلى أن يتبع بلا برهان وكل من ادعى للديانة سراً وباطناً فهي دعاوى مخارق، واعلموا أن رسول الله لم يكتّم من الشريعة كلمة فما فوقها، .. ولا اطلع أخص الناس به من ابنة أو ابن عم أو زوجة أو صاحب على شيء من الشريعة، كتّمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده عليه السلام سرّ ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه"<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول: إن كلام الله تعالى واجب أن يحمل على ظاهره ولا يحال عن ظاهره البتة إلا أن يأتي نصّ أو إجماع أو ضرورة نص على أن شيئاً منه ليس على ظاهره"<sup>(٣)</sup>.

ويعرف البيان قائلاً إنما هو حمل لفظ القرآن والسنة على ظاهرهما وموضوعهما<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، (٩٠).

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦ - ١٩٩٦ (٣٧٣/١).

(٣) الفصل (٣٩١/١).

(٤) ابن حزم، علي بن أحمد، النبذ في أصول الفقه، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة كليات الأزهر القاهرة، ط ١، ١٤٠٦ - ١٩٨٨، (٣٨).

بناءً على النصوص السابقة نستطيع القول بأن الظاهرية مذهب يعتمد نص القرآن والسنة والإجماع، أي إجماع الصحابة - إضافة إلى ذلك الدليل المستتب من النص، وبالمقابل فإن الظاهرية ترفض الأصول الأخرى التي اعتمدتها المذاهب الأخرى، مثل:

١- الرأي، الذي يقول عنه ابن حزم هو الحكم في الدين بغير نص بل بما يوايه المفتي أحوط وأعدل في التحريم والتحليل<sup>(١)</sup>.

٢- القياس، ثم حدث القياس في القرن الثاني وهو الحكم فيما لا نص فيه بمثل الحكم فيما فيه نص أو إجماع لاتفاقهما في علة الحكم أو في وجه من الشبه<sup>(٢)</sup>.

٣- الاستحسان: ثم حدث الاستحسان في القرن الثالث وهو فتوى المفتي بما يراه حسناً فقط، ويرد عليه قائلًا: "وذلك باطل؛ لأنه اتباع الهوى؛ وقول بلا برهان والأهواء تختلف في الاستحسان"<sup>(٣)</sup>.

٤- التعليل والتقليد: ثم حدث التعليل والتقليد في القرن الرابع. والتعليل هو: أن يستخرج المفتي علة للحكم الذي جاء به النص، رده قائلًا: وهذا باطل بأنه إخبار عن الله حكم بكذا من أجل تلك العلة<sup>(٤)</sup>. أما التقليد فهو أن يفتي المفتي بمسألة لأن الإمام الفلاني أفتى بها<sup>(٥)</sup>.

هذه الأصول الظاهرية (مجملاً) لم يكن ميدانها المسائل الفقهية، وحسب بل جعل منها ابن حزم أداة طيعة أو منهجاً علمياً صرفاً، يطبقه على جميع المعارف التي تناولها بالبحث والدراسة لذا يقول أسين بلاثيوس "ابن حزم كانت لديه الجرأة في تعميم مقياس المدرسة الظاهرية؛ فهو لم يطبق منهجه الظاهري في الفقه وحسب، والأخلاق وحدها، إنما طبقها أيضاً على

(١) ابن حزم، علي بن أحمد، ملخص إبطال الرأي والقياس والاستحسان، ط٢، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩، (٤)

(٢) المصدر السابق، (٥).

(٣) المصدر السابق، (٥).

(٤) المصدر السابق، (٦).

(٥) المصدر السابق، (٦).



المسائل المعقدة المتعلقة بالعقيدة الإسلامية<sup>(١)</sup>، بل إنه طبقها على اللغة والتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم، وسنكتفي بإيراد بعض الأمثلة التي يتجلى من خلالها ابن حزم ومنهجه الظاهري.

## دراسة الأديان: ٥٦٣٢٢٦

ففي كتابه "الفصل" نجده يقول، وهو يناقش توراة اليهود وما تحمل من كذب وتناقض:

- "فلما ابتدأ الناس يكثر على ظهر الأرض وولد لهم بنات، فلما رأى أولاد الله بنات آدم أنهن حسان اتخذوا منهن نساء"<sup>(٢)</sup> وقال بعد ذلك: كان يدخل بنو الله إلى بنات آدم، ويولد لهم حرام وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم أسماء"<sup>(٣)</sup> يعلق ابن حزم قائلاً: وهذا حمق ناهيك به، وكذب عظيم إذ جعل لله أولادا ينكحون بنات آدم وهذه مصاهرة تعالى الله عنها"<sup>(٤)</sup>.

وواضح أن الإمام ابن حزم أخذ أولاد الله التي وردت في التوراة على ظاهرها واعتبر ذلك كذباً عظيماً، ومصاهرة يتبرأ منها الله غير "أن تفسير أولاد الله بأبناء شيث كما قال علماء أهل الكتاب في تفاسيرهم وهذا لا غبار عليه أن عد ذلك من قبيل المجاز و كما جاء في الأثر: الفقراء عيال الله"<sup>(٥)</sup>.

- المثال الثاني من "الفصل": تذكر التوراة أن إبراهيم عليه السلام ركض لاستقبال الملائكة الذين قدموا عليه وسجد على الأرض"<sup>(٦)</sup>.

(١) حامية، عمود علي، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، ط ١، ١٩٨٣، (١٨٣).

(٢) الفصل، (١٤٦/١)

(٣) الفصل، (١٤٦/١)

(٤) الفصل (١٤٦/١)

(٥) ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة الأديان (١٨٠)

(٦) الفصل، (١٥٦/١)

يعلق ابن حزم قائلاً: من الباطل أن يسجد إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليله لغير الله ولمخلوق مثله فهذه كذبة<sup>(١)</sup> والسبب في ذلك أن ابن حزم قاس الأمر على الشريعة المحمدية التي ترفض السجود لغير الله أما في الأمم الأخرى فقد قال الله تعالى: (٢)

(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً) (يوسف: ١٠٠) تبين من خلال الآية أن هذه عادة في الأمم الأخرى حيث يقول الطبري "حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال تحمل- يعني يعقوب- بأهله حتى قدموا على يوسف، فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه، دخلوا على يوسف فلما رأوه وقفوا له سجوداً وكانت تلك تحية الملوك في ذلك الزمان"<sup>(٣)</sup>

وعن قتادة، خروا له سجداً وكانت تحية من قبلكم"<sup>(٤)</sup>

## على مستوى اللغة:

أما تطبيقه للمنهج الظاهري في اللغة والأدب فإنه راجع إلى اهتمامه بهما لمكانتهما المهمة في شروط البحث العلمي، لذا نجده يقول "ففرض على الفقيه أن يكون عالماً بلسان العرب ليفهم عن الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويكون عالماً بالنحو الذي هو ترتيب العرب لكلامهم الذي نزل به القرآن فمن جهل اللغة وهي الألفاظ الواقعة على المسميات وجهل النحو الذي هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني- لم يحل له الفتيا"<sup>(٥)</sup> إلا أن الأمور لا تؤخذ على علتها ففي الجانب الآخر ينصح بعدم التعمق فيه أي النحو، "أما التعمق في

(١) الفصل، (١٥٦/١).

(٢) سورة يوسف آية، ٩١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر (٢٩٦/١٦).

(٤) المصدر السابق (٢٦٩/١٦).

(٥) الإحكام في أصول الأحكام (١١٩/٢-١٢٠).

علم النحو فضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهم، وإنما هي تكاذيب فما وجه الشغل بما هذه صفتها" (١).

هذا الرفض القاطع من الاستزادة في علم النحو والتعمق فيه راجع إلى سبب واحد وهو وجود الأقيسة والافتراضات والتقديرَات أو ما يسمى "بالعوامل أو العلل فهي كلها فاسدة" (٢).

إن المانع من التعمق في النحو هو مسألة العلل والقياس الذي اعتمده النحاة في استتباط مسائلهم، وكل هذا مرفوض جملة وتفصيلاً في المذهب الظاهري، إنما الحق من ذلك أي النحو - أن هكذا سمع من أهل اللغة الذي يرجع إليهم ضبطها ونقلها" (٣).

وللحق أن ابن حزم تعامل مع اللغة بمفهوم شمولي.. انعكس ذلك على فهمه للأدب وبناء العبارة عنده، حيث أنه تحرى الصدق في بنائها (٤)، ويظهر ذلك من خلال تلك المقدمة التي أحكم فيها طريقته في التأليف، وهي مقدمة كتابه الشهير "طوق الحمامة" إذ يقول:

"كلفتنى أعزك الله أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيدياً لا مفنناً، ولكن مورداً لما يحضرني على وجهه بحسب وقوعه... والذي كلفتنى فلا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وأدركته عنايتي وحدثني به الثقات من أهل زمانى.. ودعني من أخبار الأعراب المتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت الأخبار عنهم وما مذهبي أن أنضي مطية سوى ولا أتلى بحلى مستعار" (٥).

(١) رسائل ابن حزم (٤/٦٦).

(٢) رسائل ابن حزم (٤/٣٠٢).

(٣) رسائل ابن حزم (٤/٣٠٢).

(٤) الزعبي، أنور خالد، ظاهريه ابن حزم الأندلسي، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٥، (١٢٧).

(٥) رسائل ابن حزم (١/٨٦-٨٧).

من خلال هذا النص الذي يظهر مدى تقيد ابن حزم في رؤيته للأشياء على ما هي عليه، وانطلاقاً من أصول مذهبه في عرض الواقع القرطبي على سبيل الحقيقة التي ترفض التزويد والكذب، فقد نقل ابن حزم صورة صادقة عن الحب الأندلسي، وما يقع فيه وله، بعيداً عن الزخارف والتفنن الذين يشوهان الحقائق، ويجعلونها غامضة، وخاصة أن مسألة الحب هي من أمس الجوانب العاطفية والنفسية التي تعتمد الصدق والصراحة.

وبما أن فقيهننا ظاهري فهو في عداد أهل الحديث الذين يهتمون بالسند والمتن، فقد برز هذا الجانب عند اشتراطه المشاهدة وما أدركته العناية في البحث وما حدث به الثقافات، وهو أهم ركن من أركان صحة الخبر عند المحدثين.

وابن حزم رجل مجدد يكره التقليد، بل إن التقليد عنده حرام، "وأنه لا يحل الأخذ بقول أحد إلا ببرهان"<sup>(١)</sup>، من هنا رفض أخبار الأعراب التي تروى عنهم؛ لأنها أميل إلى الخرافة والمزايدة والبعد عن الحقيقة، لذا فسيبيلهم غير سبيله وطريقهم غير طريقه.

هذه المنهجية الصارمة امتدت إلى البلاغة أيضاً، فهو يرفض البلاغة الغامضة أو بلاغة الخواص "إنما البلاغة ما فهمه العامي كفهم الخاصي وكان بلفظ ينتبه له العامي لأنه لا عهد له بمثله، وينتبه له الخاصي لأنه لا عهد له به بمثل نظمه ومعناه، واستوعب المراد كله، ولم يزد فيه ما ليس منه، ولا حذف مما يحتاج من ذلك المطلوب شيئاً، وقرب على المخاطب به فهمه، ولوضوحه وتقريبه ما بعد وكثر من المعاني، وسهل عليه حفظه لقصره وسهولة ألفاظه"<sup>(٢)</sup>؛

من خلال هذا يتبين لك مدى تأثير الظاهرية في فهمه للعلوم، وأن رؤيته لها من مصدر يكاد يكون جانباً واحداً وهو ظاهر الأمر لا تأويله.

### - على مستوى المنطق:

يُعد ابن حزم من العلماء الذي يرون إمكانية جعل الفلسفة، وبالأخص المنطق، معياراً لتقويم الآراء الشرعية وتصحيحها من جانب، وأنها الدرع التي

(١) التبذ في أصول الفقه، (٧١)

(٢) رسائل ابن حزم (٣٥٢/٤)

يتحصن بها في مناظرته لخصومه من الملل والنحل والمذاهب من جانب آخر، ومع هذا الاهتمام فإننا نلاحظ أنه أسقط بعض الأسس المعتمدة لدى المناطقة تمشياً وأصول مذهبه، حيث أبطل القياس وعده من الاستقراء المذموم حيث قال: "واعلم أن المتقدمين سمووا المقدمات "قياساً فتحيل إخواننا القياسيون حيلة ضعيفة سوفسطائية بأن أوقعوا اسم القياس على التحكم والسفسطة، فسموا تحكمهم بالاستقراء المذموم قياساً وسموا حكمهم فيما لم يرد فيه نص بحكم شيء آخر مما ورد فيه نص لاشتباههما في بعض أوصافها قياساً واستدلالاً وإجواء للعلة في المعلول"<sup>(١)</sup>.

وبما أن القياس يعتمد عنصر المشابهة فإن ابن حزم يرفضه؛ "لأن كل ما في العالم فمشبه بعضه ببعض ولا بد من وجه أو من وجوه، ومخالف أيضاً بعضه لبعض ولا بد من وجه أو أوجه"<sup>(٢)</sup> وبالتالي لا يجوز لنا أن نقيس بين أجناس مختلفة لوجود شبه أو صفات فيهما لأن "المقيس عليه يحمل نوعاً مستقلاً بنفسه ويختلف ماهوياً عن الأنواع الأخرى وعليه فإن القياس، قياس جزء على جزء لا يكون مشروعاً في هذه الحالة"<sup>(٣)</sup> بهذه الطريقة لم يسقط القياس من أصول الفقه والمنطق وحسب، بل تعداه إلى أحوال الناس؛ "لأنه قد يكذب في أكثر الأمور ويبطل في الأغلب واستعمال ما هذه صفته في الدين لا يجوز"<sup>(٤)</sup>.

هذا الرفض أو التعديل في الأسس المنطقية دفع بصاعد الأندلسي إلى إطلاق مقولته المشهورة التي تبعة فيها العديد من المؤرخين قائلًا:

"وخالف أرسطوطاليس واضع هذا العلم في بعض أصوله، مخالفة ممن لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتابه، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بين السقط"<sup>(٥)</sup>.

(١) رسائل ابن حزم (٣٠٨/٤).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (٤٨/١).

(٣) الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦، ص٥١٨.

(٤) رسائل ابن حزم (٤٠٠/١).

(٥) طبقات الأمم، (١٨٢).

الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله جامعا بين طرق أهل الحديث، في التوثيق والدقة وأسلوب المؤرخين في سرد الروايات دون تفسير أو تعليل.

ولا يغيب عن القارئ أن ابن حزم اعتمد في نقده للتاريخ عنصراً آخر يضاف إلى طريقة أهل الحديث وهو النقد العقلي أو الفلسفي، بل إنه قد يجمع بينهما في نقد رواية تاريخية أو حديث في زعم غيره، ولناخذ مثلاً حديث " هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر " في النسب قال ابن حزم:

"وهذا باطل ببرهاتين: أحدهما أنه لا يصح من جهة النقل أصلاً، وما كان هكذا فحرام على كل ذي دين أن ينسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ... والثاني أن البرهان قد قام على أن علم النسب علم ينفع وجهل يضر في الدنيا والآخرة، ولا يحل لمسلم أن ينسب الباطل المتيقن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

كذلك قصة عنيسة ابن أمية بن عبد شمس التي رواها الحكم بن أبي العاص ابن أمية وفحوى القصة أن عنيسة حلت به فاقة فعرض أولاده على قريش ثم اختفى بعد فما يدرى أين صقع؟ ولا أين وقع؟ يرد ابن حزم هذه الرواية قائلاً: "هذه، والله قاصمة الأبدان إن كان الخبر حقاً! وما أراه يصح، وفيه عبد الرحمن بن عباد وهو غير معروف؟ وكيف يمكن أن يكون حقاً؟ وفيهم يومئذ أبو سفيان بن حرب، عظيم المال قليل النفقة، شديد المحبة في قومه، فكيف يضيع عمه أخاً أبيه؟.. فصح أنه خبر مولد مقتل يقيناً" (٢).

ختاماً نقول: إن ظاهرية ابن حزم لم تكن في الفقه والأصول فحسب، وإنما كانت بمثابة الطلاء الذي صبغ به جميع نتاجه الفكري، على أن فقيهاً يراوح في ذلك، فتارة نرى الظاهرية بائنة للعيان، وتارة لا أثر لها إلا كسالمطيف أو كيفما استدعى الموقف والحال، وهذا الرأي يصححه من اطلع على نتاج الرجل وكتابات.

(١) ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٣٩١،

١٩٧١ - ٤.

(٢) جمهرة أنساب العرب (٨٠).

## منهجه في التأليف الأدبي:-

الحقيقة التي تواجه المتأمل في تراث ابن حزم، هي اتباعه في تأليفه خطة واضحة أقرب ما تكون إلى الخطة المنهجية التي يسير عليها الكتاب والمؤلفون في عصرنا الحاضر.

فالمطلع على مؤلفاته على غزارتها، يجد أن معظمها لا يخلو من تلك المقدمة التي يشرح فيها موضوع الدراسة، وأسباب التأليف، والدوافع التي حفزته لمتلته، ثم الغرض والفائدة من البحث، علاوة على ذلك فإنه يبين المصادر التي يعتمد عليها، ويحذر من المصادر التي يرقى إليها الشك والظن، هذا بشكل عام. أما بشكل خاص وأعني منهجه في التأليف الأدبي، فإننا لا نبالغ إذا قلنا أن هذا المنهج يكمن في رسالة (طوق الحمامة)، تلك الرسالة التي ألقت بناءً على رغبة صديق لابن حزم فتظهر خلال مقدمتها منهجية أقرب ما تكون إلى المنهجية الحديثة في التأليف وهي كالتالي:-

- الدافع لتأليف رسالة الطوق.
- الضوابط التي التزم بها في رسالة الطوق.
- التبويب والتنسيق وفق منهج منطقي.

### ١- دواعي التأليف:

قلنا إن رسالة الطوق ألقت بناءً على رغبة من صديق لابن حزم، هذا الصديق استوطن المرية جراء الفتنة البربرية في قرطبة، وبعد أن توطدت أواصر المحبة بينهما، قام الصديق بزيارة لابن حزم في مدينة شاطبة، كيما يبثه حزنه وما يجيش بخاطره، وفي خلال تلك الفترة البسيطة، إذ بطول الحرب تفرع بين مجاهد وخيران، وتقطع الطريق بين شاطبة والمرية، فينبري ابن حزم ليخفف من بلية صاحبه الذي كلفه كتابة رسالة الطوق، يقول في ذلك:

"وكلفتني - أعزك الله - أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة"<sup>(١)</sup>.

أما فيما يتعلق بالضوابط التي التزمها ابن حزم في رسالته طوق الحمامة فإننا نرى أن ابن حزم اتكأ ولو بشكل عابر على الأدوات والضوابط الظاهرية وذلك من خلال ثلاثة جوانب.

**أولها:** تصوير المجتمع على صورته الواقعية أو الظاهرية، فقد تعهد في مقدمته أن يورد ما طلب منه "على سبيل الحقيقة لا متزيّداً ولا مفنّناً"<sup>(٢)</sup> وهذا يعني أنه "سيجسد بأمانة بيئته وأخلاق مجتمعه الأندلسي في تلك الفترة من تاريخه، وذلك باعتماده الكبير على إيراد أمثله حية مستمدة من صميم الواقع المعيش"<sup>(٣)</sup> معرضاً عن جميع القصص العذرية وأحاديث السّمار التي تقترب من الخيال وتبعد عن منطق الواقع.

**وثانيها:** - رفض التقليد في أمرين هما الشعر والنثر، أما الشعر فقد اكتفى بشعره عن غيره من الشعراء، إما إظهاراً لبراعته وتفننه في مجال الشعر فقد قل عن نفسه "فقد علم من داخلنا أو بلغه أمرنا... كيف قوتنا على صناعته (أي الشعر)، وكيف تأتي مقصّده ومقطوعه لنا، وكيف سهولة نظمه علينا في الإطالة والتقصير"<sup>(٤)</sup> أو أنه أراد أن يجعل من رسالته طوق الحمامة مدونة يخلد فيها شعر فترة الشباب والصبا، أو رفضه لتقليد من سبقه في هذا الشأن كصاحب "الزهرة" مثلاً الذي ملأ كتابه شعر القدماء والمحدثين مخفياً شعره تحت عنوان، وقد قال بعض أهل العصر.

ولهذه الأسباب وغيرها فقد قرر ابن حزم أمراً لا رجعة فيه حيث قال:

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم (١/٨٦).

<sup>(٢)</sup> رسائل ابن حزم (١/٨٦).

<sup>(٣)</sup> حسين، طه، ألوان، دار المعارف، ط٦، (١٠٦) بتصرف.

<sup>(٤)</sup> رسائل ابن حزم (٤/٦٩).



"وسأورد في رسالتي هذه أشعاراً قلتها فيما شاهدته، فلا تتكره أنت - ومن رآها - على أني سألك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه، فهذا مذهب المتحليين بقول الشعر"<sup>(١)</sup>.

إذن رفضه التأنق بشعر غيره أمر مشروع وهو مذهب المتحليين بقول الشعر، وكأنه يقول كيف أجلب بضاعة أنا صانعها ومتقنها إلى درجة التفنن. أما رفضه التقليد في النثر فإننا نعني بذلك تلك الحكايات والأخبار التي تنصدر كتب العشاق، فقد كره أن يرجع بحديث الحب إلى ما امتلأت به كتب الأدب من أخبار العشاق والمحبين، فلم يحفل بكل ما كان من حديث الأعراب، ومن غزل الغزلين في نجد والحجاز، ... وأبى إلا أن يقصر ملاحظته على نفسه وعلى ما رأى وما سمع من معاصريه"<sup>٢</sup> ولذا يقول:

"والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك والاقتصار على ما رأيت أو صح عندي بنقل الثقات ودعني من أخبار الأعراب المتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم، وما مذهبي أن أنضي مطية سواي ولا أتحلى بحلى مستعار"<sup>(٣)</sup>.

إذن فابن حزم يقرر تحولا شاملا عما كان عليه القدماء ويؤذن بمرحلة جديدة، يجسد من خلالها الحب على بساط الواقع، والواقع الأندلسي خاصة، معتمداً في ذلك أمرين هامين هما: المشاهدة - وما نقله الثقات، وإذا كان ذلك كذلك؛ فإن أخبار الأعراب لا توافق هذه النقلة أو هذه المرحلة لأمر منها: أن طريقها غير طريق ابن حزم الواقعي، فهي تعتمد الأساطير العذرية وأحاديث السمار، ومنها: أيضاً أن الناس بلغوا منها درجة التشبع لكثرتها عندهم، والأمر الأخير وهو الأهم أن مذهب الرجل يحرم التقليد مطلقاً، فكيف يمتطي جواد غيره أو يتحلى بحلى مستعار؟!؟

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم، (٨٧/١).

<sup>٢</sup> ألوان، (١١٤).

<sup>(٣)</sup> رسائل ابن حزم، (٨٧).

الأمر الثالث: اعتماد الإسناد في إيراد الأخبار والوقائع، والغرض من ذلك أن يضيف عليها الصدق من جانب، وطمأنة القارئ من جانب آخر، وبذلك يتبين أن الأمر لم يكن نقلاً من كتب سبقت في هذا المجال، أو جمع لحكايات يتندر بها العامة دون توثيق أو تصحيح؛ فالأمر "لابد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وأدركته عنايتي وحدثني به الثقاة من أهل زمانى"<sup>(١)</sup>.

إن فاهل زمانه من المصادر التي يعتمدها في إيراد الأخبار، على أنه يخص فئة من أهل زمانه وهم (الثقاة، معتمداً في ذلك طريقة أهل الحديث في نقد السند أو ما يسمى بعلم الجرح والتعديل وحتى نبين مدى اهتمام ابن حزم "بالإسناد" فإننا سنخرج ولو بشكل مختصر على هذه الدعامة التي هي من أهم دعائم المذهب الظاهري، فالمعلوم أن الظاهرية تهتم "بالخبر" وتجعله في المرتبة الثانية - بعد القرآن - وهذا أمر يستدعي معرفة شاملة ودقيقة لعلم الرجال، وهذا ما عني ابن حزم "بالثقاة" والملاحظ أنه كررها مرتين في نفس الصفحة بالتحديد، مبيناً أهمية السند في إيراد المنقول وأنه - أي السند - الغربال الذي يصفى فيه جميع المرويات سواء أكانت أدبية أم دينية، وهذا ما سنناقشه فيما بعد أي "مسألة الإسناد" خلال نصية الحكاية عند ابن حزم.

وبعد هذا التقيد المحكم للضوابط السابقة، أصبح لازماً أن يضع منهجاً في ترتيب الأبواب وتنسيقها، وفق منهج منطقي محكم، وبأسلوب عقلي منظم، ولذا نجده قسم الرسالة إلى ثلاثة فصول وخاتمة.

- فصل في أصول الحب (هي عشرة).
- فصل في أعراض الحب (هي اثنا عشر).
- فصل في الآفات الداخلة على الحب (هي ستة).
- خاتمة من فصلين في قبح المعصية وفضل العفاف.

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم، (٨٧).

والغريب أنه بعد أن أقر هذه المنهجية في التَّبويب، راح يخالفها في بعض الأبواب وفي ذلك يقول:

"ولكننا خالفنا في نسق بعض هذه الأبواب هذه الرتبة المقسمة في درج هذا الباب الذي هو أول أبواب الرسالة، فجعلناها على مبادئها إلى منتهاها واستحقاقها في التقدم والدرجات والوجود، ومن أول مراتبها إلى آخرها، وجعلنا الضد إلى جانب ضده فاختلف المساق في أبواب يسيرة"<sup>(١)</sup>.

وفي هذا يعلل الدكتور إحسان عباس هذا الاختلاف في الخطتين، بأن كتابته على النسق الأول تباعد بين الأمور المتوازية، فالوصل من أعراض الحب مثلاً، وضده الهجر وهو من آفات الحب، وهما يقفان متباعدين إذا التزمنا بالمقولات الثلاث<sup>٢</sup> ولهذا أعاد ابن حزم ترتيب الأبواب بحيث يتوازن كل موضوع مع ضده إن وجد وهذا "دليل على أن ابن حزم قد حاول أن يتخفف من أثقال العصر ويتحرر من قيود التفكير التي كانت تمنع معاصريه من الحركة الحرة"<sup>(٣)</sup>.

وفيما يلي الخطتان وما طرأ على ترتيب أبواب الرسالة من تغيير، في شكل مقارنة بينهما.

---

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم، (١/٩٠).

<sup>٢</sup> رسائل ابن حزم (١/٥٦-٥٧).

<sup>٣</sup> ألوان (١١٤).

الخطبة رقم (٢)	الخطبة رقم (١)
أصول الحب	أصول العبد
باب في ماهية الحب	باب في ماهية الحب
باب علاقات الحب	باب في علاقات الحب
باب من أحب في النوم	باب في ذكر من أحب في النوم
باب من أحب بالوصف	باب في ذكر من أحب بالوصف
باب من أحب من نظرة واحدة	باب في ذكر من أحب من نظرة واحدة
باب من لا يحب إلا مع المطاولة	باب فيه ذكر من لا تصح محبته إلا مع المطاولة
باب من أحب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها	باب التعريض بالقول
باب التعريض بالقول	باب الإشارة بالعين
باب الإشارة بالعين	باب المراسلة
باب المراسلة	باب السفير
أعراض الحب	أعراض الحب
باب السفير	باب الصديق المساعد
باب طي السر	باب الوصل
باب إذاعته	باب طي السر
باب الطاعة	باب الكشف والإذاعة
باب المخالفة	باب الطاعة
باب العتل	باب المخالفة
باب المساعدة من الإخوان	باب من أحب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها
باب الرقيب	باب القنوع
باب الواشي	باب الوفاء
باب الوصل	باب الغر
باب الهجر	باب الضنى
باب الوفاء	باب الموت
الآفات الداخلة على الحب	الآفات الداخلة على الحب
باب الغر	باب العتل
باب البين	باب الرقيب
باب القنوع	باب الواشي
باب الضنى	باب الهجر
باب السلو	باب البين
باب الموت	باب السلو
الختام	الختام
باب قبح المعصية	باب قبح المعصية
باب فضل التعفف	باب فضل التعفف

## المبحث الثاني:-

### النقد عند ابن حزم :

الحق أن هذا العنوان يحمل مدلولات عدة ،ويحلق بنا في فضاءات واسعة، خاصة عندما ينسب هذا النقد إلى عالم كابن حزم ،الذي اشتهر بنبرته الحادة تجاه من يخاصم ،حتى قال الذهبي عنه :

"وجرت عليه أمور لطول لسانه،واستخفافه بالكبار ،ووقوعه في أئمة الاجتهاد بأفج عبارة ،وأفظ محاورة ،وأبشع رد ،،فغدت مقولة ابن العريف لعنة تلاحقه أينما اتجه وهي، كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقتين" (١)

وعلى الرغم من ترديد العلماء لهذه المقولة ،إلا أنها مشوبة بالظلم والحيثية ،إذ كيف تقرر شدة الحجاج التي استحالت إراقة دماء العلماء وهدم البيت الحرام بالمنجنيق ،بشدة ابن حزم التي أفادت بحرا من العلم لا تكدره الدلاء ،مع ما عرف عنه من الإنصاف والتقوى ؟ كيف لا وهو القائل :

"إن لم يكن بد من إغضاب الناس أو إغضاب الله عز وجل ،ولم يكن لك مندوحة عن منافرة الحق ومنافرة الخلق ، فأغضب الناس ونافرهم ، ولا تغضب ربك ولا تتأفر الحق " (٢)

من هنا يفهم أن مدلول النقد عنده هو الصراحة والصلابة في الحق ،وذكر الوقائع بعين الحقيقة دون مصانعة أو مهادنة.

ونقصد بالنقد هنا أيضا الوقوف على الأحداث وصناعها ، وإظهار الصورة الحقيقية لهم ، وإيانة الباطل وان كان اتباعه عدد النجم والحصى والتراب،

---

(١) تذكرة الحفاظ ، (٣/١١٥٤).

(٢) رسائل ابن حزم ، (١/٣٨٣).

لذا يقول ابن حزم :

"وأما قولهم : إن الذي عليه الأكثرية فهو الهدى والطريقة المثلى ، فكلام في غاية السخف"<sup>١</sup> إذ الحق لا يصير حقا بكثرة معتقديه ولا يستحيل باطلا بقلّة منتحليه"<sup>٢</sup>

بهذه النظرة الواقعية الناقدة ، توجه إمامنا إلى المجتمع والى السياسة والأدب ، بل إلى كل ما يحيطه من الأسس التي بنيت على الزيف والخداع ، إلا أن الباحث اقتصر في نقده على :

- الجانب الأدبي .
- الجانب السياسي .
- الجانب الاجتماعي .

---

<sup>١</sup> رسائل ابن حزم ، (٩٦/٣) .

<sup>٢</sup> التوحيدى، أبو حيان، المقابسات، تحقيق حسن السندوي، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة - تونس، ط ١ ، ١٩٩٩ .  
- ٥٣ .

## النقد الأدبي عند ابن حزم.

### توطئة -

تذكر كتب النقد أن الحركة النقدية في الأندلس كانت إلى حد ما صدى لأختها في المشرق، من حيث المنشأ ومن حيث البساطة أو بالأصح من حيث اعتمادها على الانطباعية الخالصة وهذا في بداية الأمر.

أما من حيث المنشأ، "فقد نشأت الحركة النقدية في الأندلس في زوايا المساجد إذ كانت هي دور العلم في الأندلس وهي في الغالب المصدر الأول لتلقي العلوم والآداب وبخاصة علوم الشريعة"<sup>(١)</sup> فقد ذكر صاحب قضاة قرطبة وعلماء إفريقية " أن القاضي عمرو بن عبد الله كان يجلس للفصل في الخصومات في جهة من جهات المسجد بقرطبة، وفي مكان مقابل له كان يلتف حول مؤمن بن سعيد طلاب يروون عنه الشعر ويأخذون الآداب"<sup>(٢)</sup> وهذا يصور في جانب منه دور المساجد في تنشيط الحركة العلمية والإرهاصات الأولى للنقد في الأندلس.

ولعل هذا ما حدا بأحد الدارسين إلى القول: " كان جامع قرطبة في أواخر القرن الثاني الهجري مدرسة جامعة لعلوم الدين واللغة والأدب، يلتقي العلماء فيه على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم بطلاب العلم وراغبي الأدب، وتمضي الأيام فإذا بمسجد قرطبة يغدو مجلس القوم، فلا تبدأ الرحلة من المشرق إلا لتنتهي إليه برفد عظيم من اللغة، والأدب، يظل يعكف عليه المؤدبون مع طلابهم، فيأتون عليه درساً وشرحاً وتعليقاً في إطار من الدرس اللغوي والبلاغي"<sup>(٣)</sup>.

أما من الناحية الانطباعية فإن النقد الأدبي في الأندلس قبل القرن الخامس، "لم يستطع الارتفاع إلى مستوى المشكلات الكبرى التي دارت في النقد المشرقي من حديث عن الطبع، والصنعة، واللفظ، والمعنى، والنظم، والصدق والكذب بل ظل بسيطاً في مجالي المستوى والتطبيق، لا ينفك عن التمرس ببعض الأخطاء

(١) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، (٤٩).

(٢) الحشني، محمد بن الحارث، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب اللباني، ط ١، ١٤٠٢ - ١٩٨٢، (١٤٩).

(٣) عبد الرحيم، مصطفى عليان، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٠٤ -

اللغوية والنحوية، إذ كان القائمون على تدريس الشعر من طبقات المؤدبين لا يتجاوزون - في أحسن حال - التوفر على معاني الشعر، وبعض الدراسات اللغوية النحوية<sup>(١)</sup>.

من هنا نستطيع أن نقول إن هذه الحركة النقدية في بدايتها قد اتخذت من اللغة والنحو أساساً للنقد والتقويم، باستثناء صاحب العقد الفريد فقد جمع في كتابه هذا العديد من الملاحظات المتناثرة بث فيها شيئاً من رأيه في الشعر والنثر من استحسان واستهجان، وتعقيب على بعض الآراء وبعض الأعلام مما يلحق بالذوق والنقد الأدبي، من ذلك تعريفه للبلاغة والبيان ثم كلامه في الشعر كالضرائر، والسرقات وما يصاب من الشعر وليس معيباً، ثم مسألة اللفظ والمعنى<sup>(٢)</sup>.

يضاف لما سبق، ما عرف من حبه لمعارضة المشاركة، وكأنه ينبه إلى استقلالية أدبية، وما قد يتميز به الأدب الأندلسي عن مثيله في المشرق، ويظهر ذلك في معارضته لصريع الغواني في قوله.

أديرا عليّ الواح لا تشرباً قبلي ي      ولا تطلباً من عند قاتلي ذلي  
فيا حزني أنى أموت صباباً      ولكن على من لا يحل له قتلي

### يعارضه ابن عبدربه قائلاً:-

أقتلني ظلماً وتجددني قتلي ي      وقد قام من عينيك لي شاهداً علي  
أطلب ذلي ليس بي غير شادن      بعينيهِ سحر فاطلبوا عنده ذلي

يعلق صاحب العقد قائلاً فمن نظر إلى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعة، لم يفضل شعر صريع الغواني عنده إلا بفضل التقدم<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، عمان الأردن، (١٩٩٣م)، (٤٧٨).

<sup>(٢)</sup> تاريخ النقد الادبي في الأندلس، (٢٨٠-٢٨٧) بتصرف.

<sup>(٣)</sup> ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين صاحبه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٥-١٩٦٥- (٣٩٨/٥).



ولا شك أن صاحب العقد قد شذ عن القاعدة الأندلسية مجملًا إذ لم يؤثر عنهم إي الأندلسيين كتاباً يتحدث أو يناقش المسائل النقدية التي ناقشها المشاركة إلا هذه الوقفات التي نثرها ابن عبد ربه في كتابه، على أن هذه الوقفات النقدية ما لبثت أن تحول أمرها على مر الزمن إلى قوة ونضج عند غيره، وهذا راجع إلى أسباب منها:-

١- "الحركة الثقافية التي أوجدها الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦) والحاجب المنصور بن أبي عامر من بعده فهذه بعثت في الأندلس شعوراً بالنقصة حين ميزت بين التبعية الكاملة للمشرق والاستقلال الذاتي، وأعانت على النظرة إلى ما يمكن أن يسمى "شعر الأندلس" مستقلاً أو متصلاً بالحركة الشعرية عامة في البلاد الإسلامية، مثلما أن الثقافات التي انتشرت بجهود الحكم قد ساعدت على إيجاد الوعي العميق عن طريق المقارنة والمفارقة وهي أول حوافز النقد"<sup>(١)</sup>.

٢- "إنشاء ديوان للشعراء كما فعل المنصور بن أبي عامر حيث أنشأ لهم ديواناً يرزقون منه على مراتبهم، ولم يكن ليسجل شاعر فيه إلا إذا اجتاز ما يشبه امتحاناً شعرياً"<sup>(٢)</sup>، هذا وإن كنا نجهل تلك المقاييس النقدية إلا أن المنافسة هي وحدها الكفيلة بإثبات الموهبة الشعرية"<sup>(٣)</sup>.

٣- "الانهيار الذي أصاب قرطبة "عاصمة الأندلس: بسبب الفتنة البربرية (٣٩٩) هـ وظهور أدعياء الأدب والثقافة واختلال المقاييس وكساد الشعر أدى إلى نقمة الشعراء على أوضاعهم، وعلى دعاوى المدعين، مما جعلهم يقارنون بين الماضي والحاضر، وإلى استرداد القيم التي تحطمت وكان النقد من نتائج ذلك كله"<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر -، (٤٧٩).

<sup>٢</sup> المرجع السابق، (٤٧٩).

<sup>٣</sup> الجذوة، (١٠٣)، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس، (٧٦).

<sup>٤</sup> تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر - (٤٧٩).

## موقف ابن حزم من الشعر:

ما من شك في أن الظاهرية الفقهية أو المذهب الظاهري أثر في منهجية ابن حزم تجاه العلوم وبالأخص الأدب، فتارة نجده ذلك العالم التربوي الواعظ، وتارة نجده ذلك العالم المنهجي الذي يخضع الآراء لحقائق العقل والبرهان، رافضاً كل أشكال التبعية أو التقليد الخاطيء، كيف لا وهو القائل: "وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أن أتلى بحلي مستعار"<sup>(١)</sup> من هذه الزاوية كان توجه ابن حزم نحو النقد الأدبي، حتى قال عنه تلميذه الحميدي: "سمعت أبا محمد على بن أحمد وكان عالماً بنقد الشعر"<sup>(٢)</sup>.

من هنا أصدر أحكاماً على الشعر لم يسبق إليها، وبدقة أفضل لم يفصل فيها من قبل كتفصيل ابن حزم، فقد رفض أو حذر من أربعة أضرب من الشعر وهي: شعر الغزل، والتصعلك، وأشعار التغرب، والهجاء، وحجته في ذلك أنها أضرب لا تدعو إلى خير أو حكمة، وبالمقابل حبذا بعض الأشعار التي فيها الحكم، كشعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، وكشعر صالح بن عبد القدوس ونحو ذلك فإنها نعم العون على تنبيه النفس.

"وينبغي أن يتجنب من الشعر أربعة أضرب:

أحدها الأغزال، والرقيق فإنها تحت على الصبابة وتدعو إلى الفتنة، وتحض على الفتوة وتصرف النفس إلى الخلاعة واللذات، وتسهل الانهماك في الشطارة والعشق وتتهى عن الحقائق، حتى ربما أدى ذلك إلى الهلاك والفساد في الدين وتبذير المال في الوجوه الذميمة، وإخلاق العررض، وإذهاب المروءة، وتضيع الواجبات. وإن سماع شعر رقيق ينقض بنية المرء الرائض لنفسه حتى يحتاج إلى إصلاحها ومعاناتها برهة، لا سيما ما كان يعنى بالمذكر وصفة الخمر والخلاعة، فإن هذا النوع يسهل الفسوق ويهون المعاصي ويردي جملة"<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم (١/٨٧) ز

<sup>(٢)</sup> جذوة المقتبس (١٠٥).

<sup>(٣)</sup> رسائل ابن حزم (٤/٦٧)

والضرب الثاني: "الأشعار المقولة في التصعلك وذكر الحروب كشعر عنتره وعروة بن الورد وسعد بن ناشب\* وما هناك، فإن هذه الأشعار تثير النفوس وتهيج الطبيعة وتسهل على المرء موارد التلف في غير حق، وربما أدى إلى هلاك نفسه في غير حق، وإلى خسارة الآخرة، مع إثارة الفتن وتهوين الجنايات والأحوال الشنيعة والشره إلى الظلم وسفك الدماء.

الضرب الثالث: أشعار التغرب، وصفات المفاوز والبيد والمهامه، فإنها تسهل التحول والتغرب وتنشئ المرء فيما ربما صعب عليه التخلص منه بلا معنى.

الضرب الرابع: الهجاء فإن هذا الضرب أفسد الضروب لطالبه، فإنه يهون على المرء الكون في حالة أهل السفه من كناسي الحشوش والمعاناة لصناعة الزمير المتكسبين بالسفاهة والنذالة والخساسة وتمزيق الأعراض وذكر العورات وانتهاك حرم الآباء والأمهات، وفي هذا حلول الدمار في الدنيا والآخرة.

ثم صنفان من الشعر لا ينهى عنهما نهياً تاماً ولا يحض عليهما بل هما عنده من المباح المكروه وهما: المدح والثناء: فأما إباحتهما فلأن فيهما ذكر فضائل الموت والممدوح، وهذا يقتضي للراوي ذلك الشعر الرغبة في مثل ذلك الحال، وأما كراهتهما لهما فإن أكثر ما في هذين النوعين الكذب، ولا خير في الكذب"<sup>(١)</sup>.

ولم يقف الأمر عند هذا بل إنه نهى عن الإكثار من رواية الشعر "وهو كسب غير محمود، لأنه من طريق الباطل والفضول، لا من طريق الحق والفضائل، ولا يظن ظان أن هذا علم قد جهلناه، فقد علم من داخلنا أو بلغه أمرنا كيف توسعنا في رواية الأشعار ... وكيف سهولة نظمه علينا في الإطالة فيه والتقصير، ولكن الحق أولى بما قيل"<sup>(٢)</sup>.

\* سعد بن ناشب أحد شعراء الحماسة، كان من شياطين العرب وهو صاحب يوم الرقيط في الإسلام بين ميم وبكر، وقد أصاب دماً فهدم بلال داره (راجع الشعر والشعراء: ٦٧٧).

<sup>(١)</sup> انظر رسائل ابن حزم (٦٨/٤) بتصرف.

<sup>(٢)</sup> انظر رسائل ابن حزم (٦٩/٤) بتصرف.

وعلى فرض أن الشعر هو الإعلام المسيطر على الساحة في الأندلس في زمن ابن حزم، فإنه يوجه برقيات تحذيريه لشباب الأندلس ينهاهم فيها عن أضرب الشعر التي تدفعهم إلى الوقوع في الرذائل ووحل المعصية، ويحذرهم فيها من الأشعار التي ما من شأنها إلا إشعال نار الفتنة الدائرة في الساحة الأندلسية، ومن ثم إلى التغرب في البلاد والهروب من الواقع البائس، ثم يحذرهم من الأشعار التي يتعاطاها أراذل الخلق في هتك الأعراض وانتهاك الحرمات، "وبذلك يعمل على بناء جيل يدفع ما يتهدد مجتمع الأندلس من ضياع وتشتت بسطوة النصارى وفساد ملوك الطوائف ولذلك فقد ألزم الشعراء بأمور تحث الأمة على الخير وتساعددها في واقعها الإسلامي للنهوض بها"<sup>(١)</sup>.

والحق أن هذه - القيود كما يسميها بعضهم - التي وضعها ابن حزم أمام الشعراء لضروب معينة من الشعر إنما وضعت لاعتبارين هما:-

١- "ما تجره هذه الضروب من الشعر على صاحبها وقارئها من فساد في الجسد والخلق والسلوك وما تفسد به ما بين الآخذ بها وبين أهله وذويه ومعاشريه فهذا الاعتبار يؤول إلى مصلحة ذاتية.

٢- ومنها ما تجره تلك الأشعار من فساد في الدين وغضب من الله له، فكما أن المرء ينظر إلى مصلحته في الآخرة (الاعتبار الديني) والإنسان ليس هملاً يهلكه الدهر، بل إن كل شيء يكسبه في الحياة الدنيا سيكون له حساب: من ثواب أو عقاب في الآخرة والعاقل من عمل ليومه وغده"<sup>(٢)</sup>.

والجدير بالإشارة أن ابن حزم ليس بمبتدع في آرائه كلها فهذا صاحب العقد يروى لنا "أن معاوية قال لعبد الرحمن بن الحكم يا بن أخي: إنك شهرت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فإنك تغر الكريمة في قومها والعفيفة في نفسها، والهجاء: فإنك لا تعدو أن تعادي كريماً أو تستثير به لئيماً ولكن افخر بمآثر قومك وقل الأمثال ما توقر به نفسك وتؤدب به غيرك"<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> تيارات النقد الأندلسي في القرن الخامس (ص ٣٥٧).

<sup>(٢)</sup> انظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، (٣١٣) بنصرف.

<sup>(٣)</sup> العقد الفريد، (٥/٢٨١).

بل "إن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده: لا تروهم قصيدة عروة التي يقول فيها:-

دعيني للغنى أسعى — إني رأيت الناس شرهم الفقير  
ويقول: هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم" (١)

مما سبق يتضح لنا أن ابن حزم "أراد أن يضع ما يشبه المنهج الإسلامي في الشعر يترسمه الشعراء جميعاً ولكنه أجمل آراءه على صيغة قوانين تفنقر إلى الإسهاب والإيضاح، ولو دخل في التفصيلات لكانت آراؤه أكثر وضوحاً وبلورة وبالرغم من صدوره عن قيم دينية إسلامية، فقد تشدد ابن حزم في تلك القيم وتحجر واسعاً، فقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر وفيه الغزل، واستمع وفيه الهجاء ولكن لذلك مقاييس وحدوداً لا تغني بها العجالة التي اتكأ عليها أبو محمد (٢).

ومما يكمل موقف ابن حزم في النقد فقرة تحدث فيها عن الشعر في آخر كتابه "التقريب لحد المنطق" فبدأ القول: "إن الشعر صناعة يزينها الكذب ولهذا منعه الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ (يس: ٦٩) وأخبر تعالى أنهم يقولون ما لا يفعلون. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإكثار منه، وإنما ذلك لأنه كذب إلا ما خرج عن حد الشعر فجاء مجيء الحكم والمواعظ ومدح النبي صلى الله عليه وسلم" (٣).

ثم يضرب مثلاً للشعر الذي تحرى فيه قائله الصدق:

الليل ليل والنهار نهار — وبغل بغل والحمار حمار  
والديك ديك والحمامة حمامة — وكلامها طير له منقار

ويعلق قائلاً: صار في نصاب من يهزأ به ويسخر منه ويدخل في المضاحك

حتى إذا كذب وأعرق فقال:

ألف السقم جسمه والأنبياء — وبهراه الهوى فما يس — تبين  
لا تراه الظنون إلا ظنوناً — وهو أخفى من أن تراه الظنون

(١) الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، دار الثقافة بيروت، ١٩٥٥م، (٧٢-٧١/٣).

(٢) تاريخ النقد الأدبي بالأندلس (٣١٤).

(٣) رسائل ابن حزم (٣٥٤/٤).

حسن وملح ولكننا نتكلم فيه بمقدار ما يحسن<sup>(١)</sup>.

إذن فابن حزم من أنصار المقولة المشهورة "أعذب الشعر أكذبه" إذ يرى أن الشعر صناعة يزينها الكذب فإذا اختلط بها الصدق بطل أمرها. على أن مسألة الصدق والكذب في الشعر من المسائل التي اختلف النقاد فيها، فبينما نجد قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) يقول: إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه<sup>(٢)</sup> نجد بالمقابل ناقداً كالآمدي (٣٧٠هـ) ينتصر لصدق المعنى وتطابقه مع الواقع إذ يقول:

"وقد كان قوم من الرواة يقول: أجود الشعر أكذبه، ولا والله ما أجوده إلا أصدقه إذا كان له من يخلصه هذا التخليص ويورده هذا الإيراد على حقيقة الباب<sup>(٣)</sup>.

والذي نراه أن ابن حزم لم يتناقض مع آرائه كما يحسب أو يظن البعض؛ فالأمر لا يتعدى استحسان رأى من الآراء التي سبقت، وهذا لا يعارض ما يطلبه من الشعراء من إلغاء لبعض الأغراض الشعرية، لأن التحذير من هذه الأغراض يدخل ضمن منهجية مقيدة بمذهب فقهي يدعو إلى الأخلاق، وينهى عن التردى في الرذائل، أما إذا كان الكلام عن الشعر كصناعة وهذا من باب العموم، فإن ابن حزم يوضح رأيه العلمي فيه بغض النظر إذا كان يوافق مذهبه أو لا يوافقه.

الجدير بالذكر أن ابن حزم لم يقف عند تقسيم النقاد للشعر وهو "المطبوع، والمصنوع" بل قسمه إلى ثلاثة أقسام (صناعة، وطبع، وبراعة). فالصناعة: هي التأليف الجامع للاستعارة والإشارة، والتحليق على المعاني والكناية عنها، ورب هذا الباب من المتقدمين زهير بن أبي سلمى ومن المحدثين حبيب بن أوس<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم (٣٥٤/٤-٣٥٥)

<sup>(٢)</sup> قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، (٦٢).

<sup>(٣)</sup> الآمدي، أبو القاسم، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، درا المعارف - مصر ١٩٦٥، (٥٨/٢).

<sup>(٤)</sup> رسائل ابن حزم (٣٥٥/٤).

الطبع: "هو ما لم يقع فيه تكلف، وكان لفظه عامياً لا فضل فيه عن معناه، حتى لو أردت التعبير عن ذلك المعنى بمنثور لم تأت بأسهل ولا أخص من ذلك اللفظ، ورب هذا الباب من المتقدمين جرير ومن المحدثين الحسن"<sup>(١)</sup>.  
البراعة: "هي التصرف في دقيق المعاني وبعيدها، والإكثار فيما لا عهد للناس بالقول فيه، وإصابة التشبيه وتحسين المعنى اللطيف، ورب هذا الباب من المتقدمين امرؤ القيس ومن المتأخرين علي بن العباس الرومي"<sup>(٢)</sup>.  
ويخلص ناقدنا إلى نصيحة مفادها: أن من أراد التمهيد أو الاختصاص في الشعر أو أقسام الشعر ومختاره وأفانين التصرف في محاسنه فليُنظر في كتاب قدامه بن جعفر في "نقد الشعر" وفي كتب أبي علي الحاتمي"<sup>(٣)</sup>.

### الموارد:-

لابن حزم رأى أيضاً في اتفاق الشعراء في المعنى الواحد اتفاقاً لفظياً أو ما يسمى "بالموارد" يقول في ذلك: "والذي شاهدناه اتفاق شاعرين في نصف بيت، شاهدناه ذلك مرتين من عمرنا فقط، وأخبرني من أثق به أن خاطره وافق خاطر شاعر آخر في بيت كامل واحد ولست أعلم ذلك صحيحاً ... والشعر نوع من أنواع الكلام ولكل كلام تأليف ما، والذي ذكره المتكلمون في الأشعار من الفصل الذي سموه "الموارد" وذكروا أن خواطر الشعراء اتفقت في عدة أبيات فأحاديث مفتعله لا تصح أصلاً ولا تتصل، وما هي إلا سرقات وغارات من بعض الشعراء على بعض"<sup>(٤)</sup>.

مجمل القول إن "الموارد" عند ابن حزم لا تتعدى شطر بيت واحد وما عدا ذلك فهو في نظره سرقات وغارات من بعض الشعراء على بعض.

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم، (٣٥٥/٤).

<sup>(٢)</sup> رسائل ابن حزم (٣٥٥/٤).

<sup>(٣)</sup> انظر رسائل ابن حزم (٣٥٥/٤) بتصريف.

<sup>(٤)</sup> الأحكام في أصول الأحكام (١٠٥/١).

## آراء أخرى:-

يرى الدكتور إحسان عباس أن الشعر الأندلسي تربى على الذوق المحدث الذي يهتم بوصف الجمال في الطبيعة والإنسان عن طريق الصورة أو قل الأكثر من التشبيهات ولذلك كان من أبرز العناصر التي التفت إليها الناقد المتذوق عنصر التشبيه<sup>(١)</sup> وهذا ما نجده عند ابن حزم من اهتمامه بكثرة التشبيهات في البيت الواحد ويراها من البراعة وحسن النظم، وذلك قوله:

أرعى النجوم كأنني كلفت أن      أرعى جميع ثبوتها والخنس  
فكأنها والليل نيران الجوى      قد أضرمت في فكري من حنّس

قال: وقد وقع لي في هذه الأبيات تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد، وهو الذي أوله "فكأنها والليل" وهذا مستغرب في الشعر ولي ما هو أكمل منه وهو تشبيه ثلاثة أشياء في بيت واحد وتشبيه أربعة أشياء في بيت واحد:

كأن النوى والعتب والهجر والرضى      قران وأفذاذ ونحس وأسعد<sup>(٢)</sup>

ثم يقول: ولي أيضاً ما هو أتم من هذا، وهو تشبيه خمسة أشياء في بيت واحد في هذه القطعة وهي:

كأنني وهي والكأس والخمر والدجى

ثرى وحيا الدرّ والتبرّ والسبج

فهذا أمر لا مزيد فيه ولا يقدر أحد على أكثر منه، إذا لا يتحمل العروض ولا بنية الأسماء أكثر من ذلك<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر - (٤٨١).

<sup>(٢)</sup> رسائل ابن حزم، (١٠٩/١).

<sup>(٣)</sup> رسائل ابن حزم، (١١٠/١).



## ابن حزم والبلاغة:-

جاء في آخر كتاب التقريب أن ابن حزم حاول التأليف في علم البلاغة إلا أن صديقه ابن شهيد وضع كتاباً في هذه العلم فترك هو ذلك، واكتفى بتعريف البلاغة ووظيفتها التعليمية، "على أن البلاغة قد تختلف في اللغات على قدر ما يستحسن أهل كل لغة من مواقع ألفاظها على المعاني التي تتفق في كل لغة وقد تكون معدودة في البلاغة مستغربة، فإذا كثرت استعمالهم لها لم تعد في البلاغة ولا استحسنت ونقول:

"البلاغة ما فهمه العامي كفههم الخاصي وكان بلفظ ينتبه له العامي، لأنه لا عهد له بمثله، وينتبه له الخاصي لأنه لا عهد له بمثل نظمته ومعناه واستوعب المراد كله ولم يزد فيه ما ليس منه ولا حذف مما يحتاج من ذلك المطلوب شيئاً، وقرب على المخاطب به فهمه، ولوضوحه وتقريبه ما بعد، وكثر من المعاني وسهل عليه حفظه لقصره وسهولة ألفاظه، وملاك ذلك الاختصار لمن يفهم، والشرح لمن لا يفهم، وترك التكرار لمن قبل ولم يغفل وإدمان التكرار لمن لم يقبل أو غفل"<sup>(١)</sup>.

فهو يقرر أن "وضوح الكلام من أهم ما تتطلبه البلاغة... و أضاف "أن البليغ يستطيع مراعاة مقتضى الحال فيوجز لبعض الناس ويسهب لبعضهم الآخر، فلا بد من معرفة حال المخاطب قبل التوجه إليه بالعبارة"<sup>(٢)</sup>.

أما وظيفته التعليمية فإنه يرى على المشتغل بها أن يصرفه إلى خدمة الله عز وجل، وإظهار الحقائق وتعليم الجاهل، وعدا ذلك فهو وبال على صاحبه حسب قوله: "فأما علم البلاغة فإن صرفه صاحبه إلى الله عز وجل وإلى تبين الحقائق، وتعليم الجاهل فهي فضيلة، وأما إن صرفه في ضد ذلك خسر صفقته، إذ أتعب نفسه وأفنى عمره في ما هو وبال عليه، ونعوذ بالله من البلاء"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر رسائل ابن حزم، (٣٥١-٣٥٢) بتصرف.

(٢) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس (٣١٨ - ٣١٩).

(٣) رسائل ابن حزم، (٨٠/٤).

## الأساليب -

قسم الإمام ابن حزم الأساليب إلى قسمين كبيرين، يتولد منهما ثالث، "وهو الذي ذكرنا ينقسم قسمين، أحدهما مائل إلى الألفاظ المعهودة عند العامة كبلاغية عمرو بن بحر الجاحظ، وقسم مائل إلى الألفاظ غير المعهودة عند العامة كبلاغية الحسن البصري وسهل بن هارون ثم يحدث بينهما قسم ثالث أخذ من كلا الوجهين كبلاغية صاحب ترجمة كيلة ودمنة، ابن المقفع كان أو غيره. ثم بلاغية الناس تحت هذه الطرائق التي ذكرنا"<sup>(١)</sup>.

"وقد كان أحدث ابن دراج عندنا نوعاً من البلاغة ما بين الخطب والرسائل ... وأما المتأخرون فإننا نقول إنهم مبعدون عن البلاغة ومقربون من الصلف والتزيد حاشا الحاتمي وبديع الزمان فهما مائلان نحو طريقة سهل بن هارون"<sup>(٢)</sup>.  
والحق أن قسمة ابن حزم للأساليب النثرية تشهد بإطلاع واسع لنتاج القدماء والمحدثين، الأمر الذي جعله ينكر بلاغة المتأخرين ويرميهم بالصلف والتزيد، وهو بذلك يوافق صاحبه ابن شهيد من حيث المبدأ القائل "بأن المتأخرين اعتراهم صلف وبرقة الكلام كلف"<sup>(٣)</sup>.

## ابن حزم وإعجاز القرآن

تعد مسألة الإعجاز القرآني من أهم المسائل التي شغلت العلماء من فقهاء وأصوليين وأهل كلام، وقد أخذت هذه المسألة في التعمق مع ظهور المذاهب السياسية كالخوارج والشيعة، والمذاهب الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة والمرجئة، والمذاهب الفقهية كالحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والظاهرية، ولقد حاولت هذه الطوائف والمذاهب الدفاع عن القرآن وإثبات معجزته كل حسب موقفه الذي انطلق منه، مراعيًا بعض الأمور التي اتفقت الأمة عليها.

والسؤال هنا ما المعجز منه؟ أنظمه؟ أم نصه من الإنذار بالغيوب؟.

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم (٣٥٢/٤)

<sup>(٢)</sup> رسائل ابن حزم (٣٥٢/٤).

<sup>(٣)</sup> انظر الذخيرة (٢٣٧/١/١) يتصرف.

وما وجه إعجازه؟

يرى معظم علماء الأمة أن المعجز منه نظمه وما فيه من الإخبار بالغيوب، أما وجه الإعجاز فقد انقسم العلماء فيه إلى فريقين، فريق يرى أن وجه الإعجاز فيه كونه أعلى مراتب البلاغة، وفريق آخر يرى أن وجه الإعجاز لأن الله منع الخلق من القدرة على معارضته وهي ما تسمى بمسألة "الصرفة"<sup>(١)</sup> وهذا رأي الإمام ابن حزم إذ يقول:

"وأما نظم القرآن فإن الله منع القدرة على مثله وحال بين البلغاء وبين المجيء بما يشبهه"<sup>(٢)</sup> وهو بذلك ينكر أن يكون إعجاز القرآن في أعلى درجات البلاغة ويقول: فلو كان إعجاز القرآن في أعلى درجات البلاغة لكان بمنزلة الحسن وسهل بن هارون والجاحظ وشعر امرئ القيس، ومعاذ الله عن هذا لأن كل من يسبق في طبقتة لم يؤمن أن يأتي من يماثله ضرورة<sup>(٣)</sup>.

ويتساءل ابن حزم "هل الإعجاز في آية دون آية أم في جميع الآيات؟ فإن قالوا جميع الآيات فماذا يقولون في قوله تعالى ((وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً)) (النساء/١٦٣).

فإن انطبق عليها الإعجاز فقد ردوا على أنفسهم وكفوا مؤونتهم لأنها أسماء رجال فقط ليس على شروطهم في البلاغة<sup>(٤)</sup>.

والنفي الذي يعنيه ابن حزم أن يكون القرآن في أعلى درجات البلاغة في ظني إنما يعنى بلاغة كلام المخلوقين "ولأنه ليس من كلام المخلوقين لا من أعلاه ولا من أسفله أو أدناه ولا من أوسطه ... فإن الله تعالى تولى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق"<sup>(٥)</sup>.

(١) رسائل ابن حزم (٣٥٢/٤).

(٢) رسائل ابن حزم، (٣٥٢/٤).

(٣) الفصل (٥٠/٢) - (٥١).

(٤) الفصل، (٥٠/٢).

(٥) الفصل (٥١/٢).

## النقد الاجتماعي

### تمهيد-

وأما في قسم الأقاليم؛ فإن قرطبة مسقط رؤوسنا ومعق تماننا، مع سرّ من رأى في إقليم واحد فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا<sup>(١)</sup>، وعليه فإن قرطبة وبغداد في خط متواز، متعادلان في القسمة، ذكاء وفهما وعلماء، وكما أن بغداد عاصمة الشرق؛ فإن قرطبة عاصمة الأندلس والغرب، ومن ثم فهي مهوى طلاب العلى من علم ومنصب وتجارة.

نتيجة لذلك ازدحمت قرطبة بالسكان حتى قدر بعضهم أن سكانها مليون نسمة، والبعض يراهم نصف مليون<sup>(٢)</sup>. ويقال إن دور العامة بقرطبة بلغت مائة ألف وثلاثة عشر ألفاً وسبعاً وسبعين داراً، أما دور العلية فكانت ستين ألفاً، كما يقال إن قرطبة كان بها من الحوانيت (٨٠) ألفاً وأربعمائة واثنان وخمسون حانوتاً، ومن الفنادق والحانات (١٦٠٠) فندقاً و (٤٥٢) حانة<sup>(٣)</sup>.

هذه الأرقام - التي قد يكون مبالغاً فيها - هي دلالة على الكثافة السكانية لقرطبة، كيف لا وهي التي تجمع الأجناس والأعراق المختلفة، فعلاوة على العرب والبربر الفاتحين، فهناك الصقالبة، والسودان، واليهود، والأسبان الأصليون، وفي ظل الإسلام تمتعت هذه الطوائف بالحرية والتسامح إلى حد كبير، بصرف النظر عما ارتكبته بعض الطوائف كالبربر، من تخريب وتدمير للأندلس عامة، زد على ذلك ما كان يمارسه اليهود - وهم أقل طائفة عدداً في الأندلس - من بث لبذور الشقاق بين أمراء الطوائف، والانضمام إلى هؤلاء أنا وإلى أولئك أنا آخر الأمر الذي جعل البربر يستعينون بهم، ويعطونهم أعلى المناصب، "ومنهم ابن النغيلة الذي وزر لباديس بن حبوس الذي تنكر للمعروف؛ فتناول على القرآن في شعره قائلاً:

نقشيت في الخد  
من كتاب الله موزوناً  
لن تنالوا البر حتى  
تنفقوا مما تحبوننا<sup>(٤)</sup>

(١) رسائل ابن حزم، (١٧٤/٢).

(٢) فكري، أحمد، قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٤٧).

(٣) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، (٤٤).

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٣، ١١٤/٠٢.

هذا الخليط من الأجناس والطوائف من ذوي الرغبات والنزعات المختلفة، لم يقدر المؤرخون ثوراتهم ونزعاتهم، بل جعلوا يتهمونهم بالفضول والتشغيب، "وأنهم اشتهروا بكثرة شرهم وإعيائهم في أمور التلصص؛ فكانوا شراً من عامة العراق، وأنه يضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك، والتشنيع على الولاة، وقلة الرضا بأمورهم ... وهم غالبيتهم كانوا متقلبين كثيري التقلب، هوائيين تسلطت عليهم الأهواء، انتهازيين للفرص، ضعيفي الإيمان".<sup>(١)</sup>

والحق أن هذه الأحكام العمومية أو العامة تحمل في طياتها الكثير من الظلم، خاصة وأن بعض المؤرخين يذكر أهل قرطبة؛ فيقول عنهم: "إن فضائلهم أشهر من أن تذكر، ومناقبهم أظهر من أن تسطر، وإليهم الانتباه في الثناء والبهاء، وهم أعلام البلاد وأعيان العباد. ذكروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي في الملابس والمركب وعلو الهمة في المجالس والمراتب".<sup>(٢)</sup>

هكذا كان أهل قرطبة - أو الأندلس - . "ذلك المزيج المختلط ازدهرت به الحضارة، فأحيا الأدب والعلوم والفنون وأضعف السياسة، حتى رأينا بجوار الانحلال السياسي وتفرق السلطان بعد بنى أمية - الرقي العلمي، ورقى الذوق والفن وتقدم علوم الصناعة وعلوم الدين".<sup>(٣)</sup>

والجدير بالإشارة هنا أن وضع المرأة في الأندلس كان أكثر تحملاً عما كان عليه في بقية الشعوب الإسلامية الأخرى؛ "فأسهمت بجهدها في كل أنواع الثقافة المعروفة على أيامها"<sup>(٤)</sup>، ونذكر منهن لا على سبيل الحصر "غالبية بنت محمد" المعلمة تروي الحديث، وفاطمة بنت يحيى بن يوسف، وشارك أخريات في الشعر ومنهن عائشة بنت أحمد بن قادم القرطبية وكانت تمدح الملوك ... وصفية بنت عبد الله الريس الشاعرة، وراضية مولاة الإمام عبد الرحمن الناصر"<sup>(٥)</sup>.

<sup>(١)</sup> قرطبة في العصر الإسلامي. (٢٥٢)

<sup>(٢)</sup> الأدريس، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٩-١٩٨٩م (٥٧٤/٢).

<sup>(٣)</sup> ابن حزم حياته وعصره - وآراؤه وفقهه، (٩٤).

<sup>(٤)</sup> دراسات عن ابن حزم، (٢٠٠).

<sup>(٥)</sup> ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري (٤٦).

"ويذكر بعض الرواة أن المستنصر كان له في ناحية من نواحي قرطبة وهي ربض الشرقي منها مائة وسبعون امرأة عاملة في نسخ القرآن بالخط الكوفي"<sup>(١)</sup>.

"ولعل هذه المكانة التي بلغت المرأة هي التي نبهت الأندلسيين إلى التساؤل حول علاقة المرأة بالنبوة، وأوقعت الجدل بين الفقهاء القرطبيين في هذه المسألة"<sup>(٢)</sup>.

إلى جانب هذا التحضر الإنساني، نجد تطوراً عمرانياً بلغ درجة من الإبداع، "ومن إبداعهم أن الماء كان يأتيهم جارياً إلى بيوتهم بواسطة الأنابيب الرصاصية، أما عدد الحمامات بها فكان (٨٠٠) على أقل تقدير ... وكان المسجد هو مركز الحياة بقرطبة، فكانت تقام حوله الأسواق والحوانيت بالإضافة إلى الدور الاجتماعي والديني والسياسي والعلمي الذي يقوم به المسجد. وقد كثرت المساجد حتى اختلف في عددها، فالبعض يقدرها (١٦٠٠)، والبعض الآخر يرفعها إلى (٣٨٧٧)، والبعض أبلغها (١٣٨٧٩)، ويرى الحميري أنها كانت (٤٩٠) مسجداً ... أما أحياء قرطبة - فقد كانت واحداً وعشرين حياً، لم تكن محاطة بالأسوار إلى إن كانت أيام الفتنة بقرطبة، فحفر حولها خندق يدور بها جميعاً"<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن ذلك الجو الاجتماعي كان له الأثر في نفس ابن حزم وفي فكره؛ "فقد كان من آثاره في نفسه أن اجتمع فيه جفوة اللفظ أحياناً مع رقة الطبع"<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما سنطلع عليه عند إنكاره لبعض المظاهر الاجتماعية في عصره وبلده، مصوراً الأحوال الاجتماعية بقلم العالم المخلص، والمصلح الاجتماعي، على أن إنكاره لم يكن بتلك المنهجية المستقصية للعيوب أو الأمراض الاجتماعية وإنما كانت على هيئة وقفات، وملاحظات متناثرة حسبما يقتضيه الموقف والحالة

<sup>(١)</sup> النور، حسن أحمد، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجبل، بيروت ط ١ - (١٤١٢ - ١٩٩٢)، (٣٩٦).

<sup>(٢)</sup> تاريخ الأدب الأندلس - عصر سيادة قرطبة - (٢٦).

<sup>(٣)</sup> انظر ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري (٤٨-٤٩) بنصرف.

<sup>(٤)</sup> ابن حزم حياته وعصره - وآراؤه وفقهه (٩٩).

الاجتماعية، ولعله سجل الكثير من الأخطاء الاجتماعية، في كتب أخرى لم تصل إلينا ككتابه المسمى " (بالفضائح) الذي حوى أخبار البربر وعاداتهم السيئة" (١).

## نقده الاجتماعي:

"كان التزام ابن حزم بالمنطق يسوقه دوماً إلى إدراك الواقع، إلى رؤية الأشياء على ما هي عليه، وكانت الأشياء التي يراها ويدركها - وهو يعيش في عصر انحلال خلقي واضطراب سياسي - تصدمه وتثير أعصابه، وتجعله في ضيق مما يشاهد ويلاحظ، فيأخذ في الوصف والسرود والتصوير والنقد الصريح أحياناً" (٢).

ولذلك فابن حزم يرى أن الأخلاق لا تكتسب بالعلم والمعرفة وإنما هي هبة من الله "وقد رأيت من غمار العامة من يجري من الاعتدال وحميد الأخلاق لا يتقدمه فيه حكيم عالم راض لنفسه، ولكنه قليل جداً، ورأيت ممن طالع العلوم وعرف عهد الأنبياء عليهم السلام ووصايا الحكماء، وهو لا يتقدمه في خبث السيرة وفساد العلانية والسريرة شرار الخلق وهذا كثير جداً فعلمت أنهما مواهب وحرمان من الله تعالى" (٣).

ومن ذلك عندما يصور لنا حسد أهل الأندلس لعلمائهم وغمطهم أقل الحقوق لهم، بل التشكيك بكل عالم ارتقى درجات العلم؛ فعنهم يقول:

"وأما جهتنا في ذلك ما جرى به المثل السائر "أزهد الناس في عالم أهله"... لا سيما أندلسنا فإنها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته، بأضعاف ما في سائر البلاد، إن أجاد قالوا: سارق مغير، ومنتحلي مدع، وإن توسط قالوا: غث بارد وضعيف ساقط، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا: متى كان هذا ومتى تعلم؟ وفي أي زمان قرأ؟ ولأمة الهبل وبعد ذلك إن

(١) معجم البلدان . مادة/البربر).

(٢) ابن حزم رائد الفكر العلمي، (١٠٦)

(٣) رسائل ابن حزم، (١/٣٤٦).

ولجت به الأقدار أحد طريقين إما شفوفاً بائناً يعليه على نظرائه أو سلوكاً في غير السبيل التي عهدوها، فهناك حمي الوطيس على البائس، وصار غرضاً للأقوال، وهدفاً للمطالب، ونصباً للتسبب إليه ونهباً للأكنة، وعرضة للتطرق إلى عرضه، وربما نحل ما لم يقل، وطوق ما لم يتقلد، وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه، وبالحرى، فما عليه إلا التعلق بأذيال السلطان كي يسلم من المتالف، أما إذا تعرض للتأليف غمز ولمز، وتعرض وهمز، واشتط عليه، وعظم يسير خطبه، واستشنع حين سقطه، وزهبت محاسنه، وسترت فضائله، وهتف ونودي بما أغفل، عند ذلك تنكس همته وتكل نفسه ... والأمر يشمل الشعراء والكتاب فإنه لا يفلت من هذه الحبال إلا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الأمد<sup>(١)</sup>.

هكذا صور لنا الإمام ابن حزم داء الحسد، الذي أخذت منه الأندلس الحظ الأوفر، من بين الأقطار، مما أدى إلى إضعاف الهمم والاكتفاء بالقدر الضئيل من العلم وخاصة العلم الشرعي.

وإذا كان الحسد تجاه العلماء وطلاب العلم بهذه الصورة البشعة وهم أقل الناس مالاً في أغلب الأحيان، فكيف بأرباب المال ومن على سدة الحكم ومن يرتقى سلم الوزارة ويفتح له باب الخلافة في الصباح والمساء، لا شك أن هذا قد أخذ النصيب الأوفر من كم الحسد الأندلسي؟!

ومن المشاهدات التي رآها الإمام ابن حزم وشدت انتباهه "أقوام حمق يبذلون أنفسهم، فتارة يقاتلون زيدا عن عمرو وتارة يقاتلون عمراً عن زيد ولعل ذلك يكون في يوم واحد، فيتعرضون للمهالك بلا معنى فينقلبون إلى النار أو يفرون إلى العار وقد أنذر بهؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله "يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل"<sup>(٢)</sup>.

### سؤال وجواب:

ويستمر ابن حزم في مناقشة المسائل التي تتعلق بمجتمعه، وذلك من خلال الأسئلة التي ترد عليه من أنحاء الأندلس، فيجاوب عليها دونما خوف أو وجل، ولا

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم (٢) ١٧٧-١٨٧.

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق، (١/٣٥٣).



أدل على ذلك من جوابه الصريح عندما سئل عن وجه السلامة في المطعم والملبس والمكسب في الأندلس، فكان جوابه:

"فهيئات أيها الأخوة إن هذا لمن أصعب الأمور وأوجعه للقلوب وآلمه

للنفوس وجوابكم هنا طريقان: طريق الورع

فمن سلكه فالأمر - والله - ضيق حرج، وبرهان ذلك أنني لا أعلم لا أنا ولا غيري بالأندلس درهماً حلالاً ولا ديناراً طيباً على أنه حلال، حاشا ما يستخرج من وادي لاردة<sup>(٥)</sup> من ذهب، وما هو حتى يسقط في أيدي الناس بعد أن يضرب دراهم ودنانير، فيشترون به ما يحتاجونه من دقيق وقمح وشعير ... الخ، فيدفعونها بطبيعة الحال إلى عمال الفلاحة، فما يستقر في أيديهم، حتى يؤدوه بالعنف ظلماً وعدواناً بقطع مضروب على جماجمهم كجزية اليهود والنصارى، فيحصل ذلك المال المأخوذ بغير حق عند المتقلب عليهم، وقد صار ناراً فيعطيه لمن اختصه لنفر من الجند الذين استظهر بهم على تقوية أمره وتمشيته دولته، والقمع لمن خافه... فيعامل "أي الدراهم"، بها الجند التجار والصناع، فحصلت بأيدي التجار عقارب وحيات وأفاعي، ويبتاع بها التجار من الرعية، فهكذا الدنانير والدراهم كما ترون عياناً دوايب تستدير في نار جهنم<sup>(٦)</sup>.

هذه الصراحة التي قلما نجدها عند عالم من العلماء أظهرها ابن حزم علانية دونما خوف أو تزلف لأمراء الطوائف المتسلطين، ومجمل الحال أن جميع المعاملات التجارية في زمن ابن حزم مشبوهة مشوبة بالحرام لأنها معاملات تقوم على القمع، والظلم، ودفع الجزية عن يد وهم صاغرون، فالمزارع مظلوم في زراعته والتاجر مظلوم في ماله، وبيت المال عامر بالذهب والفضة، لأن الجيوش تحتاج إلى النفقة كي تحرس البلاد!!.

ولنضرب مثلاً للجور والتسلط في جباية الأموال،" ما يذكره الرواة عن الضريبة التي كان يتقاضاها مظفر ومبارك العامريين عن بلنسية وشاطبة بلغت مائة وعشرين ألف دينار كل شهر، سبعون تحصل من بلنسية، وخمسون من

<sup>(٥)</sup> لاردة شرقي مدينة وشقة على بحر يخرج من أرض جليقية وهو بحر الذي تلتقط منه برادة الذهب الخالص (الروض المعطار (٥٠٣).

<sup>(٦)</sup> رسائل ابن حزم (١٧٤/٣ - ١٧٥) بتصرف.

شاطبة أما في تقدير نفقات الحروب الداخلية فيكفي أن نذكر أن المظفر بن باديس أنفق لأخذ وادي آش ستة بيوت من المال دراهم ثلثيه في الواحد منها مليون دينار ثلثية<sup>(١)</sup>.

أما الطريق الثاني: فهو المتشابه الذي يراه ابن حزم مقبولا إلى حد ما في زمن غير زمنه، أما في زمانه وبلاده فقد أغلق بابيه، لأن الرعية تئن من وطأة القطيع أو الجزية المضروبة على أموالهم برسم كل رأس وعلى كل خلية شيء مل ثم يتعدى هذا المنكر إلى منكر مثله أو أفضع وهو إباحة بيع الخمر من المسلمين في بعض البلاد هذا كل ما يقبضه المتقلبون اليوم وهذا هو هتك الأستار ونقض شرائع الإسلام ... وإحداث دين جديد<sup>(٢)</sup>

بهذه الطريقة كشف لنا ابن حزم مدى الظلم الواقع على الرعية، والحال المتردي اقتصادياً وأخلاقياً مما أشكل على الناس معرفة الحلال من الحرام في مأكلم ومشربهم، أضف إلى ما سبق أن ملوك الطوائف في حقيقتهم كانوا أشبه بأصحاب إقطاعيات عمهم الإثراء الكبير دون مبالاة بأوضاع الرعية، و دون مبالاة بأنواع الظلم التي تحيق بالرعية؛ لكثرة أنواع الضرائب والمكوس<sup>(٣)</sup>.

## أخلاق مرفوضة

وإذا كان موقفه من المطعم والمشرب هكذا، فإن موقفه أشد إنكاراً لبعض الأخلاق التي ظهرت في المجتمع الأندلسي عامة وقرطبة خاصة، إذ يقول عن خلق الكذب: "ولا شيء أقبح من الكذب وما ظنك بعيب يكون الكفر نوعاً من أنواعه"<sup>(٤)</sup> ويقول: "ما أحببت كذاباً قط ... وذلك لأن كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل ذام فقد يمكن الاستتار به والتوبة منه حاشا الكذب فلا سبيل إلى ترك الكذب أو الرجعة عنه"<sup>(٥)</sup>.

<sup>(١)</sup> الذخيرة، (١٥/١/٣)

<sup>(٢)</sup> انظر رسائل ابن حزم، (١٧٦/٣) بتصرف.

<sup>(٣)</sup> ابن حزم الأندلسي جهوده في البحث التاريخي والحضاري، (٢٧٦).

<sup>(٤)</sup> رسائل ابن حزم، (٣٨١/١).

<sup>(٥)</sup> رسائل ابن حزم، (١٧٣/١).

وأقول مخاطباً لعبيد الله بن يحيى الجزيري الذي يحفظ لعمه الرسائل البليغة، وكان طبع الكذب قد استولى عليه، واستحوذ على عقله وألفه ألفة النفس الأمل، ويؤكد نقله وكذبه بالإيمان المؤكدة المغلظة مجاهراً بها، أكذب من السواب مستهتراً بالكذب مشغولاً به:

وأكذب من حسن الظنون حديثه وأقبح من دين وفقير ملازم<sup>(١)</sup>

هذا الجزيري الذي نال من نقد ابن حزم أكثر من غيره في "الطوق" قد بلغ من السقوط والخسة أن يرضى الديانة في أهله فانبرى الإمام لهتك ستره وإبانة فضائحه إذ كان لا يستتر بها عن الناس فعنه يقول: "وقد يعظم البلاء، وتقلب الشهوة، ويهون القبيح، ويرق الدين حتى يرضى الإنسان في جنب وصوله إلى مراده بالقبائح والفضائح، كمثّل ما دهم عبید الله بن يحيى الجزيري فإنه رضى بإهمال داره، وإباحة حريمه، والتعريض بأهله؛ طمعا في الحصول على بغيته من فتى كان علقه - نعوذ بالله من الضلال"<sup>(٢)</sup>.

ومن نقده الأخلاقي إنكاره لفعل سعيد بن منذر صاحب الصلاة في جامع قرطبة أيام الحكم المستنصر "أنه أحب جاريته فعرض عليها الزواج ويعتقها فقالت له ساخرة به وكان عظيم اللحية: إن لحيتك استبشع عظمها، فإن حذفت منها كان ما ترغبه، فأعمل الجلمين فيها حتى لطفت، ثم دعا بالشهود وأعتقها، فما كان منها إلا أن رفضته بعد العتق، فعرض عليها أخوه الزواج فقبلته ورضى سعيد بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده"<sup>(٣)</sup>.

هنالك قضيتان ناقشهما الإمام ابن حزم من الأهمية بمكان ذكرها، وهما، (الهم، والطمع) وإن كنا لن نعرض لهما بالتفصيل، إلا إن ابن حزم طبقهما على الواقع الاجتماعي وهذا ما نحن بصدده، فهو يرى أن أهل طبقته المتأخرة لا يهتم لإنفاذ غيره أمور بلده دون أمره ولا لتقريب غيره وإيعاده حتى إذا حدث له طمع

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم، (١/١٧٨).

<sup>(٢)</sup> رسائل ابن حزم، (١/٢٧٩).

<sup>(٣)</sup> انظر رسائل ابن حزم، (١/١٦٦) بتصرف.

في هذه المرتبة حدث الهم والفكر والغيط أمر ربما قاده إلى تلف نفسه وتلف دنياله وأخراه، فالطمع إذا أصل كل هم<sup>(١)</sup>.

فهو لا ينكر تحكم غيره به حتى يحدث له طمع في منصب أو مال، وعندها يحدث التفكير بالتحريير وعدم الخضوع ولو أضعاف في ذلك ماله ونفسه ودينه، وإن كانت هذه النظرة قاصرة في تحديد البواعث إلى باعث واحد، إلا أنه قد أصاب في جعل باعث الطمع دافعاً لمغامرة قد تكون هي البداية والنهاية.

تجدر الإشارة إلى أن ابن حزم لم يهمل الطبقات الدنيا كما يفعل المؤرخون بل إنه بين بعض أخلاقهم ويرى أن أشد الناس استسهالاً للعيوب بلسانه هو أشدهم استسهالاً لها بفعله، "ويتبين ذلك في مسافهات أهل البذاءة، ومشاتمات الأراذل البالغين غاية الرذالة من الصناعات الخسيسة من الرجال والنساء، كأهل التعيش بالزميز، وكنس الحشوش، والخادمين في المجازر، وساكني الحمل المباحة لكراء الجماعات الرذلة والساسة للدواب، فإن كل من ذكرنا أشد الخلق رميةً بعضهم لبعض بالقبائح، وأكثرهم عيباً بالفضائح، وهم أوغل الناس فيها وأشهرهم بها"<sup>(٢)</sup>.

يتبين لنا من خلال هذا النص عدة أمور منها، أن ابن حزم لم يكن ممن ينظر إلى الواقع المشاهد من برج عاجي، بل كان ينزل إلى الأسواق وغمار العامة، ويطالع تلك الأحوال بعين المصلح، ومنها أن من ألغى الحواجز الأخلاقية عملاً فمن باب أولى أنه يتركها قولاً ونطقاً، ومنها أن ابن حزم يلفت نظرنا إلى مسميات يتحرج الرواة عن ذكرها وهي دار الحمل أو بيوت الدعارة، أو دار البنات وهذه مسميات اجتماعية أندلسية لهذا النوع من الأماكن التي تمارس فيها الرذيلة.

ومن الأشياء التي عابها ابن حزم تلك الألقاب التي كثرت في عصره حتى تسمى بها أراذل الناس مثل يمن الدولة - ركن الدولة فيقول "وانخرق الأمر واتسع ورذل جداً حتى سمي بهذه الأسماء في المشرق والمغرب السماسرة واللصوص والأندال ورذالات الناس وتطاييب الناس بذلك حتى لعهدي بالعامية تسمى رجلاً من

<sup>(١)</sup> المصدر السابق، (٣٧١/١).

<sup>(٢)</sup> رسائل ابن حزم، (٣٠٤/١).

أهل قرطبة يسمى أسيد بن حبيب - أيام المستكفي - أمل الدولة ويعلق على ذلك قائلاً: ليرى الله عباده هوان ما تتاحروا عليه وباعوا دينهم وأخلاقهم وما غالوا به" (١).

### اهتمامه بالمرأة:

"اهتم ابن حزم بالمرأة في دراساته وأعطاهما حقها في الهيئة الاجتماعية وساواها بالرجل مساواة تامة في الحقوق الإنسانية ... ففي الطوق وفي سائر تراث ابن حزم، ظهرت المرأة في أكثر من صورة معلمة، ومتعلمة، وشاعرة ومتقفة، عفيفة لا تطمع الأبصار فيها، وفيّة ذات خلال عالية تستحق أن يبيكها الرجل، بل يموت من أجلها أسفاً إذا فارقتها حية أو ميتة" (٢).

ولذا نجده ينقد الذين يلومون المرأة ويطالبونها بالوفاء وحدها دون الرجل بينما الرجل لا يلام في سقوطه أو عدم وفائه "وإني لأسمع كثيراً ممن يقول الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء فأطيل العجب من ذلك وإن لي قولاً لا أحول عنه: الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشينين سواء وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب، وطال ذلك ولم يكن ثم مانع إلا وقع في شرك الشيطان واستهوته المعاصي، واستفزه الحرص وتغوله الطمع، وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتماً مقضياً وحكماً، نافداً لا محيد عنه البتة" (٣).

ومع ذلك فإن ابن حزم لم يكن يحسن الظن بالمرأة كثيراً، وهي نتيجة طبيعية لما رأت عيناه من تجارب وأحداث لم يستطع لها تعليلاً ولا ردها لأسبابها المنطقية، فأدى ذلك إلى غيرة شديدة طبع عليها، وسوء ظن في جهتهن فطر عليه (٤).

(١) رسائل ابن حزم (١٠١/٢ - ١٠٢).

(٢) ابن حزم الاندلسي وجهوده في البحث التاريخي، (٢٩٩).

(٣) رسائل ابن حزم (٢٦٩/١).

(٤) دراسات عن ابن حزم (٢٢٠).

هذا الطابع الواقعي - الأخلاقي - النقدي - هو خلاصة نظرة ابن حزم للواقعات الاجتماعية، ومعيّار تقويمه لها، "على أنها تظل نظرات جزئية متناثرة ينقصها البناء النظري المتكامل"<sup>(١)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> ابن حزم الاندلسي وجهوده في البحث التاريخي (٢٩١).

## الأحوال السياسية

### توطئة -

تقدر لابن حزم أن يشهد غروب شمس الخلافة، وأن يشهد مع غروبها ألوانا من الانهيار السياسي والخلقي ومن المظالم والجور ما لا مثيل له، وأن يعيش سنوات حملت من الخيانة والهوان والأحزان والأدران<sup>(١)</sup>، ما يشبه حياة العرب في هذا العصر.

ولد ابن حزم في عهد المنصور بن أبي عامر - عصر الحجابة - الذي استطاع أن يخوض بحور الفتن والدسائس التي كانت سائده، ويخرج بحكم حقيقي للأندلس، ويضع خليفته هشام بن الحكم المؤيد تحت رقابة دائمة، ليس له من الأمر شيء إلا اسمه كخلفاء بني العباس الذين غلب عليهم الديلم وبنو بويه.

ومع ما قيل عن المنصور إلا أنه نجح في توفير الأمن وضبط الأمور، كما أعاد إلى الأندلس الإسلامية هيبتها، إذ قام بخمسين غزوة طوال حكمه البالغ (٢٥) سنة لم تنكس له فيها راية.<sup>(٢)</sup> وفي عام ٣٩٢هـ توفي المنصور وقبر في مدينة سالم إحدى مدن الثغر، ثم خلفه ولده عبد الملك وتلقب بالمظفر؛ فسار في الحجابة سيرة أبيه في الجملة سبعة أعوام، ثم توفي سنة ٣٩٨هـ فخلفه أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجل، إلا أنه كان يفتقد كل المزايا والخصائص التي كانت لأبيه وأخيه. ومما زاد الأمر سوءاً أنه حمل الخليفة المستضعف هشام المؤيد على العهد له بالخلافة من بعده، فتأثرت ثائرة الأمويين، وانتهزوا خروج شنجل في غزوة خارج قرطبة، فأعلنوا الثورة عليه.

ولما بلغ الخبر شنجل رجع من غزوته ليتلافى الأمر، فانفض عنه أنصاره، وثار به الجند وقتل سنة ٣٩٩هـ، وانتهى بذلك أمر الدولة العامية. بايع الناس محمد بن هشام بن عبد الجبار، وتلقب بالمهدي، وبدأ يشدد الوطأة على البربر، فتاروا به، فأخرجهم عن قرطبة، ثم هاجموا المدينة فخلعوه

<sup>(١)</sup> الطاهر، أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٣م، ص٨٩.

<sup>(٢)</sup> جذوة المقتبس - (٧٨ - ٧٩).

ففر وبايعوا بعده سليمان بن الحكم بن الناصر بعد أن قتل الرشيد وتلقب سليمان هذا بالمستعين، سنة ٤٠٠هـ، فلم يفاجأ الناس إلا والمهدي متجيشاً بملك قشـتالة الأسباني، فاسترد ملكه، ومع مرور الأيام قام الصقالبة بقتله، وأعادوا هشام بن الحكم المؤيد سنة ٤٠٠هـ، إلى سنة ٤٠٣هـ التي عاد فيها المستعين على رأس الجيش من البربر، بعد أن سده القرطبيون رداً من الزمن دفعت قرطبة ثمن مقاومتها أنهاراً من الدماء.

ويذكر المؤرخون أن البربر انتقموا لأنفسهم من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، حتى من اعتصم بالمساجد والمستعين لا يغير شيئاً من الأمر، لأنه كان منذ البدء فاقدا للسيطرة على جنده واتباعه وهم البربر حتى كانت نهاية أمره على يد الحموديين ٤٠٧هـ<sup>(١)</sup>.

ويصف لنا ابن بسام نقلاً عن ابن حيان - الأعوام السبعة الأولى للفتنة (٤٠٠ - ٤٠٧) "بأنها كانت شداً نكدات، صعباً مشثومات، كريهات المبدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والخاتمة، لم يعدم فيها حيف، ولا فارق فيها خوف، ولا تم سرور، ولا فقد محذور، مع تغير السير، خرق الهيبة، واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية، وظعن الأمن وحلول المخافة"<sup>(٢)</sup>.

والجدير بالذكر أن خلفاء قرطبة كانوا من الضعف لدرجة أن سلطة بعضهم لا تتعدى فراسخ من قرطبة، حتى أن الجنود كانوا يوالون رؤساء قبائلهم كحالة المستعين الذي كان لعبة في يد البربر وقائدهم زاوي بن زيري<sup>(٣)</sup>، إلى أن أخذ الحموديون منه الحكم في عام ٤٠٧هـ عن طريق خيران العامري<sup>(٤)</sup> الذي مهد للحموديين في قرطبة، ثم انقلب فيما بعد على الحموديين، فسعى سراً ليعيد الأمر إلى الأمويين بعد أن سعى في خروجهم منها، وشاء الله إن ينجح المسعى فبايع

<sup>(١)</sup> انظر جذوة المقتبس ١٧ - ٢٠ بتصرف.

<sup>(٢)</sup> الذخيرة، (٣٦/١/١).

<sup>(٣)</sup> زاوي بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجي حكم غرناطة من سنة ٤٠٣ - ٤١٠ ثم تركها وعبر إلى إفريقيا وهو الذي هزم جيوش المرتضى وقل جمعهم سنة ٤٠٩، انظر ترجمته في رسائل ابن حزم (٤٤/٢ و ٩٦) والذخيرة (٤٥٨/١/١).

<sup>(٤)</sup> خيران الصقلي العامري كان من جلة فتيان ابن أبي عامر فلما سقطت الخلافة انترى على مدينة المرية فدبر أمرها إلى إن هلك ٤١٠هـ انظر البيان المغرب (١٦٦/٣) والمغرب (١٩٤/٢).



أكثر الأندلس عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ولقب المرتضى سنة ٤٠٨هـ، إلا أن خيران بيت الغدر للمرتضى عندما علم أنه لن يكون كالمؤيد؛ فسحب جيوشه من المعركة التي دارت بين المرتضى وزاوي بن زيري بغرناطة، وانتهت الأحداث بقتل المرتضى.

بويغ بعدها عبد الرحمن بن هشام أخي المهدي ولقب بالمستظهر سنة ٤١٤هـ، وقتل بعد ٤٧ يوماً من تنصيبه، ثم تعاقب الضعفاء من بني أمية والأمور بينهم وبين العلويين دول، حتى بويغ هشام المعتد سنة ٤١٨هـ، فاضطربت ولايات الأندلس، وهب أمية بن عبد الرحمن بن هشام يطلب البيعة لنفسه في هذه الاضطرابات والفتن القائمة، حتى سئم الناس الأمويين ونادى ابن جهور بالأسواق والأرباض بالوقية في الأمويين حتى لا يبقى منهم أحد؛ فكان آخر خليفة هو هشام المعتد وختم ملكهم سنة ٤٢٢هـ<sup>(١)</sup>.

انقرضت الخلافة الأموية واستقل كل والٍ بولايته، حتى بلغت تلك الولايات

أكثر من عشرين دولة، من هذه الممالك:-

١- موالى العامرية (في شرق الأندلس) ويندرج تحتها حكم (خيران العامري) للمرية ومرسية، وحكم (مجاهد العامري) وابنه لدانية والجزائر (٤٠٠ - ٤٦٨).

٢- بنو زيري (في الجنوب) في غرناطة ومالقه، ثم توسعت فضمت قبره وجيان ومالقه وبنو الأفاطس أصحاب بطليوس وبنو ذي النون في طليلطة وبنو رزين أصحاب السهلة.

٣- بنو عباد أصحاب أشبيلية (٤١٤ - ٤٨٤هـ) الذين ظلوا يتوسعون حتى أصبحوا أكبر دولة من دول الطوائف<sup>(٢)</sup>، وبنو هود أصحاب سرقسطة وبنو القاسم الفهريون في البوننت وبنو حمود الحسنيون في الجزيرة.

<sup>(١)</sup> جذوة المغتبس (١٧ - ٣٤) بتصرف.

<sup>(٢)</sup> ابن عذاري، محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت - لبنان، ط ٣، ١٩٨٣، (١٥٥/٣) بتصرف.

٤- بنو جهور (موالي الأموية) في قرطبة، وتشمل إمارتهم مدناً أخرى قبل جيان وبياسة وأيذ. وقد سقطت قرطبة بعد ٤٠ عاماً من حكمهم في يد بنى عباد<sup>(١)</sup>.

وعلى كثرة هذه الدول وتنافسها على السلطة واستقلالها بالأمر، إلا أن استقلالها كان استقلالاً شكلياً؛ فقد كان الكثير منهم يدفع الجزية للاندفونش ملك قشتالة، وكفى بهذا من عار لدول لا تحمي نفسها، وتختال على رعيّتها بكم من الجيش إن عد جيشاً.

## نقده السياسي

"وأنى لا أبالي - فيما أعتقده حقاً - عن مخالفة من خالفته ولو أنهم جميع من على ظهر الأرض، وأنى لا أبالي موافقة أهل بلادي في كثير من زيمهم الذي تعودوه لغير معنى"<sup>(٢)</sup>.

من خلال هذا النص تتضح عزيمة عالم لا تأخذه في الحق لومة لائم، عالم رأى شمس الخلافة تتحدر نحو المغيب؛ فلم يسعه إلا المقاومة ما استطاع لكي يبقى عليها، فشارك في ثورات أموية قدر لها الخسارة أمام خصومها، ومع ذلك فإن الشرعية الأموية في الحكم هي الحل الوحيد الذي يطرحه ابن حزم، وهذا بصريح العبارة رفض لجميع ملوك الطوائف جملة وتفصيلاً.

ولذلك فهو يقرر أن الأمة فرض عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله، يسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم،<sup>(٣)</sup> وإلا عمت الفوضى، وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها، فإنه لا يقام هناك حكم ولا حد حتى ذهب الدين في أكثرها<sup>(٤)</sup>، إذن ذهاب الدين مقرون بذهاب الخلافة، وبما أن الخلافة لا تجوز إلا في قريش بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على

<sup>(١)</sup> البيان المغرب، (١٩٤/٣) بتصرف.

<sup>(٢)</sup> رسائل ابن حزم (٣٥٥/١).

<sup>(٣)</sup> الفصل، (٣/٣).

<sup>(٤)</sup> الفصل، (٤/٣).

أن "الأئمة من قریش" <sup>(١)</sup> وعلى أن الإمامة في قریش، وهذه رواية جاءت مجيء التواتر <sup>(٢)</sup>؛ فإنها لا تحل لغير قریش، وبالتالي تتمثل في بنى أمية، فهم العنصر الوحيد الذي كانت بيده السلطة ويجب أن تعود إليه، ولذا نجد ابن حزم يربط بين انحلال الدولة الأموية في الأندلس ونهاية الإسلام في تلك البلاد فيقول:

"قصار منهم عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، وملكها هو وبنوه، وقامت بها دولة بنى أمية نحو الثلاثمائة سنة، فلم يك في دولة الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصراً على أهل الشرك، ولا أجمع لخلال الخير، وبهدمها انهدمت الأندلس إلى الآن وذهب بهاء الدنيا بذهابها" <sup>(٣)</sup> ولهذا كان يرى أن ملوك الطوائف الذين خلفوا على ملك بنى أمية إنما كانوا مغتصبين مفسدين.

من خلال هذا التنظير الحزمي للخلافة والإمامة، تبدأ معركة ابن حزم مع ملوك الطوائف؛ فمن جانبه ندد بأعمالهم وفضحها دونما خوف أو وجل، حيث قال:

"وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في شي من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد، للذي تروونه عياناً من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي في ملك من ضارهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي على أهلها ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين" <sup>(٤)</sup>

ومما زاد الأمر سوءاً استعانة أمراء الطوائف باليهود، وتقليدهم الوزارات، وتمكينهم من رقاب المسلمين، وأخذ الجزية والضريبة منهم، معتذرين بضرورة لا تبيح ما حرم الله، وغرضهم فيها استدنام نفاذ أمرهم ونهيهم <sup>(٥)</sup>.

<sup>(١)</sup> ابن حنبل، أحمد، المسند، دار صادر، (د ت) (١٨٣/٣) ..

<sup>(٢)</sup> الفصل، (٦/٣).

<sup>(٣)</sup> رسائل ابن حزم (١٤٦/٢).

<sup>(٤)</sup> رسائل ابن حزم (١٧٣/٣).

<sup>(٥)</sup> رسائل ابن حزم (١٧٣/٣).

ولذا نجده يقول في مكان آخر: "إن أملى لقوي وإن رجائي مستحکم في أن يكون الله تعالى يسلط على من قرب اليهود وأدناهم وجعلهم بطانة وخاصة ما سلط على اليهود وهو يسمع كلام الله تعالى:

((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)) (المتحنة/١)، فمن سمع هذا كله، ثم أدناهم وخالطهم من ملوك الإسلام، فإنه إن شاء الله تعالى قمين أن يحيق الله عز وجل به ما أحاق بهم من الذلة والمسكنة والهوان والصغار والخزي في الدنيا وسوء العذاب المؤلم في الآخرة" (١).

وفي مرحلة أخرى من الصراع بين ابن حزم وملوك الطوائف، فإنه ينقلهم إلى ميدان الفقه والتشريع فقد أخذ فقيهما بالمذهب الظاهري الذي يهدم ركنا من أركان الأصول وهو "القياس"، الأمر الذي حدا بأحد الباحثين أن يجعل من إبطاله للقياس بعداً ومدلولاً سياسيين، "فهو ثورة ذات مظهر فقهي على فساد استشرى في الحياة الاجتماعية بالأندلس، عامة وقرطبة خاصة، وانعكس على الفقه والقضاء اللذين أصبحا مطية سهلة الركوب لكل من يريد إضفاء الشرعية على وضع غير شرعي وفاسد من الأساس". (٢)

والدارس لأحوال بعض الفقهاء في عصر ابن حزم، يجدهم يغضون الطرف عن كثير من التجاوزات الشرعية للأمراء، ثم يستندون إلى الاقيسة الفاسدة في تبرير هذه التجاوزات، حتى أن ابن حزم حذر من هذه الفئة المتسترة بثياب العلماء قائلاً:

"فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه  
اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر  
شرهم، الناصرون لهم على فسقهم" (٣).

(١) رسائل ابن حزم (٦٧/٣).

(٢) ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والاندلس، (٥٦).

(٣) رسائل ابن حزم (١٧٣/٣).

حتى قال أحد الشعراء عنهم:-

يا ذئابا بدت لنا  
أحلالا رأيتم  
في ثياب ملوته  
أكلنا في المدونه<sup>(١)</sup>

ومن الملاحظ أن هذا السخط على الأمراء وفقهائهم كان طابعاً في جيل الفتنة، فهذا ابن حيان يقول عنهم "ولم تزل آفة الناس مذ خلقوا في صنفين منهم هم كالملاح فيهم، الأمراء والفقهاء قلما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلحون، وبفسادهم يردون، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفهم لديننا هذين، بما لا كفاية له ولا مخلص منه، فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ... والفقهاء أنتمهم صموت عنهم، صدوف عما أكد الله عليهم في التبیین لهم، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم خائض في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم أخذ في التقية في صدقهم وأولئك الأقلون فيهم، فما القول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها"<sup>(٢)</sup>

هذا الالتقاء الفكري أو الواقعي تجاه الأمراء وفقهائهم، يخرج فقيهاً من دائرة التعصب ومغالطة الحقائق، بل يؤكد واقعاً صور بعين تعتمد الدقة في تصويرها للأحداث.

سبق وأن ذكرنا درجة الضعف التي وصل إليها أمراء الطوائف من الاستعانة بملوك الأسبان النصاري ضد بعضهم بعضاً، والتنازل لهم عن حصون المسلمين وقلاعهم، ودفع الإتاوة لهم عن يد وهم صاغرون، وأنهم آثروا الدنيا على الآخرة، وآثروا الذلة على العزة، الأمر الذي جعل من نقد ابن حزم نقداً لاذعاً استفتح به بعض رسائله قائلاً:

<sup>(١)</sup> الاصفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، عمر الدسوقي وصاحبه، دار نمضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د-ت)،

(٢٨٠/٢).

<sup>(٢)</sup> الذخيرة، (١٨٠/١/٣ - ١٨١).

"اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا  
 بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب  
 عن عمارة شريعتهم لهم في معادهم ودار قرارهم" (١).  
 ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعدى إلى صميم الدين، حيث اتهمهم  
 بالخيانة وعبادة الصلبان لو كان في ذلك تمشية أمورهم فقال عنهم:  
 "والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا  
 إليها فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم حرم  
 المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم،  
 وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحسره معهم آمنين وربما  
 أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها  
 بالنواقيس لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه" (٢).  
 وإذا كان هذا حال أمراء الطوائف القائم على الفساد وسفك الدماء  
 واستحلال لما حرم الله؛ فإنه من باب أولى أن لا يتقرب إليهم بعلم أو بغيره مما  
 يعينهم على باطلهم. ولذا نجد ابن حزم يحذر من طلب النحو للتوصل به إلى  
 السلاطين.

"ومن طلب النحو واللغة؛ ليتوصل بهما إلى إقامة المظالم،  
 وإحياء رسوم الجور، والتدريب في أحكام المكوس والقبالات،  
 والمخاطبة عن فساق الملوك بما يرضيهم ويسخط الله عز  
 وجل، فقد خاب وخسر وغدا في لعنة الله وراح فيها؛ لأنه  
 ظالم" (٣).

(١) رسائل ابن حزم، (٤١/٣).

(٢) رسائل ابن حزم، (١٧٦/٣).

(٣) رسائل ابن حزم، (١٦٣/٣).

بل أنه حذر من التزديد في حسن الخط؛" لأنه قد يكون داعية إلى التعلق بالسلطان فيقضى دهره إما في ظلم الناس، وإما تسويد القراطيس بتوابع بعيدة من الحق، مشحونة بالكذب والباطل؛ فيضيع زمانه باطلاً، وتخسر صفقته، ويندم حين لا ينفعه الندم".<sup>(١)</sup>

### -التاريخ هو النافذة :

الجدير بالذكر أن ابن حزم يعد من المراجع التاريخية لبلاد الأندلس عامة، وقرطبة خاصة، ولعل ذلك تمثل في رسالته "نقط العروس" وغيرها من رسائله التاريخية. وفي ظني أن ابن حزم يرى في التاريخ النافذة، الوحيدة التي تعطي الحق في تسجيل الأحداث ونقدها، والتصريح بالأشخاص وأعمالهم، سواء أكانت محمودة أم مذمومة ومما يؤيد هذا الرأي اقتصار ابن حزم في رسائله السابقة على النوادر والغرائب، ولذا نجده ينتقى بعض الحوادث، ويختار لها عنوانات تشع تهكما وسخرية لاذعة منها.

نذكر منها "أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها"

"ظهر رجل حصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام المؤيد، وأدعى أنه هو فبويع له وخطب له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى، وسفكت الدماء وتصادمت الجيوش في أمره"<sup>(٢)</sup>

ويتضح لنا من خلال هذه النص مدى التلاعب والفساد الذين كان يمارسهما أمراء الطوائف على الرعية، وإلى أي درجة بلغ الاستخفاف بالأرواح والأنفس من أجل كذبة يفهمها من له أدنى مسكة من عقل، ومما يذكر المؤرخون عن هذا الحصري أنه وجد في فناء داره يقيم خطبه، فما أحس بالوزراء والناس حتى أحاطوا به وسلموا عليه سلام الخلفاء؟؟؟؟؟؟

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم، (٦٥/٤).

<sup>(٢)</sup> رسائل ابن حزم، (٩٧/٢).

أما العنوان الآخر فهو "فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا هذا مثلها"  
"أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها كلهم يسمى بإمرة أمير  
المؤمنين، ويخطب لهم بها في زمن واحد وهم: خلف الحصري بأشبيلية على أنه  
هشام المؤيد، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، ومحمد بن إدريس  
بن علي بن حمود بمالقه ، وإدريس بن يحيى بن علي بن حمود ببشتر"<sup>(١)</sup>

وأما نقده للأشخاص، فإننا نقتصر على الذين اشتركوا في هذه الفتنة  
الأهلية، وممن كانت لهم الأيادي السوداء فيها، ومنهم سليمان بن الحكم المتلقب  
بالمستعين "وهو الذي كان شؤم الأندلس وشؤم قومه، وهو الذي سلط جنده البرابرة  
فأخلوا ما حوالي مدينة الزهراء وجمهور قرطبة حاشا المدينة وطرفاً من الجانب  
الشرقي، وأخلوا ما حوالي قرطبة من القرى والمنازل والمدن، وأفنوا أهلها بالقتل  
والسبي، وهو لا ينكر ولا يغير عليهم شيئاً"<sup>(٢)</sup>.

وممن ناله نقد ابن حزم من خلفاء بني أمية المستكفي، أبو عبد الرحمن  
محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر، فقد ذكره تحت عنوان نوكي  
الخلفاء فقال عنه:

"وكان أبعدهم من كل خير وأجمعهم لكل خلة سوء المستكفي ... وكان  
ضدهم "أي الخلفاء الذين لهم فتوح" محمد بن عبد الرحمن المستكفي فإنه أقام  
بقرطبة سبعة عشر شهراً لا تجاوز طاعته فرسخاً"<sup>(٣)</sup>.

ويقول في موقع آخر: "أنه كان سلطاناً جائراً ظالماً عادياً قليل الدين كثير  
الجهل غير مأمون ولا متثبت"<sup>(٤)</sup> ولم يكن هذا الحكم مما تفرد به ابن حزم فقد قال  
عنه ابن حيان "ولم يكن هذا المستكفي من هذا الأمر في ورد، ولا صدر ... إذ  
كان منذ عرف غفلاً عطلاً منقطعاً إلى البطالة مجبولاً على الجهالة عاطلاً من كل  
خلة تدل على فضيلة.

<sup>(١)</sup> رسائل ابن حزم (٩٨/٢).

<sup>(٢)</sup> الجمهرة (١٠٢).

<sup>(٣)</sup> رسائل ابن حزم (٧٣/٢ - ٧٤).

<sup>(٤)</sup> رسائل ابن حزم (٣٤٦/٤).



وبالجملة في تلخيص التعريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الأمانة مدة تلك الفتنة أسقط منه ولا أنقص، إذ لم يزل معروفاً بالتخلف والركاكة مشتهراً بالشرب والبطالة، سقيم السر والعلانية، أسير الشهوة، عاهر الخلوة. <sup>(١)</sup>

وفي الختام يتضح لنا مما سبق أن نقد ابن حزم السياسي لم يكن لطموح سياسي مستقبلي أو تشيع لفئة من الناس كما يزعم البعض، وإنما يصدر عن معتقد آمن به مستنداً إلى نصوص الشرع الكريم في تبين الخلل والفساد الذين استشريوا في الأنظمة الحاكمة في عصره، "وأغلب الظن أنه يرمي إلى الماضي الذي يلزم بعته وإحياؤه من جديد كبديل للزمن المنهار، الزمن الضائع، وكبديل عملي لحالة الفساد والفتنة التي ضربت أطناها في قرطبة والأندلس" <sup>(٢)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> الذخيرة (٤٣٤/١/١).

<sup>(٢)</sup> انظر ابن حزم والفكر الفلفسي في المغرب والأندلس (٦٤) بتصرف.

وبالجملة في تلخيص التعريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الأمانة مدة تلك الفتنة أسقط منه ولا أنقص، إذ لم يزل معروفاً بالتخلف والركاكة مشتهراً بالشرب والبطالة، سقيم السر والعلانية، أسير الشهوة، عاهر الخلوة. <sup>(١)</sup>

وفي الختام يتضح لنا مما سبق أن نقد ابن حزم السياسي لم يكن لطموح سياسي مستقبلي أو تشيع لفئة من الناس كما يزعم البعض، وإنما يصدر عن معتقد آمن به مستنداً إلى نصوص الشرع الكريم في تبين الخلل والفساد الذين استشريوا في الأنظمة الحاكمة في عصره، "وأغلب الظن أنه يرمي إلى الماضي الذي يلزم بعثه وإحياءه من جديد كبديل للزمن المنهار، الزمن الضائع، وكبديل عملي لحالة الفساد والفتنة التي ضربت أطناها في قرطبة والأندلس" <sup>(٢)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> الذخيرة (٤٣٤/١/١).

<sup>(٢)</sup> انظر ابن حزم والفكر الفلسفي في المغرب والأندلس (٦٤) بتصرف.